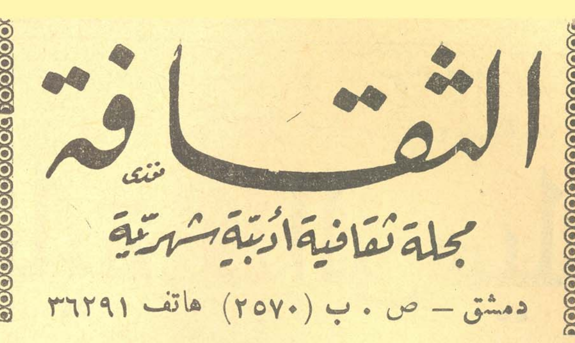
صاحبها ورئيس تحريرها

مدحت عكاش

MADHAT AKKACHE



السنة السادسة

العدد التاسع والعاشر

أيار وحزيران ١٩٦٥

الى ميتة

شعر : نزار قباني

انتهت قهوتنا

وانتهت قصتنا

وانتهى الحب الذي كنت أسميه عنيفاً

عندما كنت سخيفاً ...

وضعيفاً ...

عندما كانت حياتي

مسرحاً للترهات

عندما ضيعت في حبك أزهى سنواتي .

★ ★ ★

بردت قهوتنا

بردت حجرتنا

فلننقل ما عندنا

بوضوح فلننقل ما عندنا

أنا ما عدت بتاريخك شيا

أنت ما عدت بتاريخي شيا

ما الذي غيرني ؟

لم أعد أبصر في عينيك ضوءا

ما الذي حزرني

من حكاياك القديمة ..

من قضاياك السقيمة ..

بعد أن كنت أميره ..

بعد أن صورك الوهم لعيني ... أميره

بعد أن كانت ملايين النجوم

فوق أحداقك كغلي

كالعصافير الصغيرة

★ ★ ★

ما الذي حركني ؟

كيف مزقت خيوط الكفن ؟

وتمردت على الشوق الأجير

وعلى الليل ... على الطيب ... على جر الحرير

بعد أن كان مصيري

مرة يرسم بالشعر القصير

مرة يرسم بالثغر الصغير

ما الذي أيقظني ؟

ما الذي أرجع ايماني إليا

ومسافاتي وابعادي ، آليا

كيف حطمت الهي بيديا

بعد ان كان الصدأ يأكلني

ما الذي صيرني ؟

لا أرى في حبك العادي شيا

لا أرى فيك وفي عينيك شيا

بعد أن كنت لديا

قمة فوق ادعاء الزمن

عندما كنت غبيا

نزار قباني

حول
الغاية والوسيلة

بقلم : الدكتور بديع الكسم

في الصعيد النفسي :

ان السلوك الانساني يصدر عن جملة الدوافع والحاجات الداخلية ، ويهدف دائماً الى تحقيق غرض من الأغراض مهما يكن غامضاً . فالحاجة تخلق نوعاً من التوتر لايزول الا بالاشباع . فاذا ما قامت عقبة في وجه هذا الاشباع اتجه السلوك في طريق اللف والدوران حول العقبة حتى يصل الى تحقيق الهدف .

والتفكير الانساني بدوره ضرب من السلوك يهدف الى حل مشكلة قائمة ، فهو لا يقف موقفاً منفعلا تجاه ما يدور حوله وانما هو سعي لخلق نتائج معينة . ان الافكار وسيلة لتحقيق التلازم بين الانسان والوجود ، وهي لاتكتسب قيمتها الا اذا ادت الى غاية عملية . ومعنى الغاية العملية ان تتولد عن الفكرة الصادقة عمليات جزئية حسية .

وقد تضطرب العلاقة الطبيعية بين الغاية والوسيلة في مجال التفكير او في مجال السلوك فتنقلب الغاية الموضوعية الى وسيلة شخصية في سلوك الانتهازيين او تنقلب الوسيلة الهادفة الى غاية في ذاتها عند اصحاب الأفكار المجردة الجوفاء . ويظن مثل هذا التحول الشاذ في امثلة كثيرة في الحياة .

فادخار المال وسيلة طبيعية لتحقيق غاية معينة او جملة من الغايات . ولكن الادخار يمكن ان يفقد وظيفته كوسيلة ويتحول الى غاية نهائية في حالة البخل ، فذهب البخيل ليس أداة لتنفيذ مشروع وانما هو قدره مجردة على الشراء ، على شراء كل شيء دون تعيين . لذلك لا يستخدمه البخيل في شراء اي شيء معين .

في الصعيد المنطقي :

هناك شرطان ضروريان وكافيان يجعلان من الشيء وسيلة لآخر :

١ – يجب ان يكون الأول علة للثاني . فكل وسيلة علة فاعلة ، وكل غاية نتيجة . وهذا يعني ان الحتمية العلمية هي التي تسمح بتحقيق الغاية .

٢ – يجب ان تكون هذه العلة في متناول الكائن الذي يهدف الى غاية .

فالعملية الثانية لدى الانسان هي اذن سلسلة علية تؤلف كلاً واحداً وتنطلق من الارادة الحرة .

ولكن الارادة بدورها تتألف من فعلين متمايزين هما التقرير والجهد . فالتقرير هو ارادة الهدف ، والجهد

هو الوسيلة القريبة . يقال من اراد الغاية أراد الوسيلة . وهذا يعني ان من قرر تحقيق هدف ما وجب عليه ان يقوم بالجهد الضروري الذي يؤلف الوسيلة . فالتمييز بين التقرير والجهد يقابل اذن التمييز بين الغاية والوسيلة .

كل ذلك يعني ان تعيين الغايـة بالارادة الحرة موقف فلسفي وأن تعيين الوسيلة الناجعة بالعقل موقف علمي . اما اذا كان العلم الحديث قد استعاض عن فكرة العـلة بفكرة القانون ، فان فكرة العلة تظل ضرورية في ميدان التطبيق ففكرة القانون تنتسب الى ميدان العلم بينما تنتسب فكرة العلة الى ميدان العمل . وبهذا ننتقل بما هو صادق نظرياً الى ما هو نافع عملياً اي من احكام الوجود الى احـكام القيم . وعند ذلك تكتسب العلة التي تؤلف الوسيـلة قيمة لم تكن تملكها من قبل ، وهى قيمة النتيجة التي تؤلف الغاية .

ولـكي تكون الوسيلة صالحة يجب ان تكون عاليـة الفعالية والمردود ، فنحن نقول عن وسيلة انها فعالة اذا كانت قادرة على تحقيق الغاية المطلوبة ؛ اي اذا كانت علة حقيقية . . ولكن صلاح الوسيلة ، وهو امر يقرره العلم ، لا يعني صلاح الغاية ، وهو أمر يبدعه الفكر الفلسفي أو النزوع الى القيم في طبيعة الانسان ، ان الوسيلة لا تكتسب طابع القيمة الا اذا حققت خيراً قائماً في ذاته . واذا كان العقل يقوم بوظيفة هامة عند ما يعين الوسيلة الصالحة فانه يقتصر بذلك على تعيين طريق العمل دون أن يعين هدفه . انه لا يستطيع ان يبرهن على قيمة الغاية لأن البرهان لا ينطبق الا على الاحكام الشرطية اما الحكم الذي يقرر شيئاً على انه غاية في نفسة . فهو حكم تقويمي خارج عن نطاق كل برهان :

هكذا يبين منطق الاحكام التقويمية ان الوسيلة علة فاعلة يعينها العقل العارف وان الغاية نتيجة تتطلع اليهـا الارادة الحرة ، وأن سلسلة العلـل والمعلولات الموجهة الى غاية تعتمد على فكرتي الحقيقة والقيمة ، اي على نشاط العلم ونشاط الفلسفة في وقت واحد .

في الصعيد الأخلاقي :

يقال احياناً « ان الغاية تبرر الوسيلة » . لاشك أولا في ان الغاية لا تبرر ذاتها . اذ لا يكفي ان يضـع الانسان هدفاً له حتى يكتسب هـذا الهدف قيمة اخلاقية . لذلك ننظر الى هذا القول على انه يعني ان الغاية الخيرة تبرر الوسيلة وكلمة « تبرر » أو « تسوغ » في هذه القضية تشير الى ان الوسيلة ليست خيرة في ذاتها . فلو كانت خيرة لما احتاجت الى تبرير ، اذ لا يشك أحد في ان الوسيلة الخيرة اداة مقبولة لتحقيق غاية خيرة . أما اذا كان المقصود بالوسيلة في هـذا القول وسيلة لا علاقة لها بميدان الاخلاق ، فقد رأينا انهـا تكتسب قيمتها من قيمة غايتهـا وليس ما يمنع ان تستخدم لغاية اخلاقية .

بقي ان نصوغ المسألة هل الوجه التالي : هل تصلـح الوسيلة الأخلاقية لتحقيق غاية أخلاقية ؟ أي هل يبرر الخير وسيلة شريرة ؟ يجيب الاخلاقيون على مثل هـذا السؤال بالسلب دائماً . فهم يقولون ان الوسيلة الخبيثة قيمـة سلبية أو شر لا يسوغه شيء ، حتى ولو كانت طريقاً مؤدية الى خير ، ذلك أن عدم تحقيق هذا الخير لا يكون شراً اخلاقياً فاذا لم نحصل عليه فاننا لا نرفضه كخير وانما تدفعنا الاخلاق الى الاستغناء عنه . أما من يقبل الشر ليصـل الى خير فهو يتبنى الشر ويريده لأنـه يفعله . مثال ذلك أن الاخلاقي لا يستطيع ان يوافق على قتل انسان برىء من أجل انقاذ عدد من الناس . فالغاية هنا وهي انقاذ العدد من الناس لا تبرر الوسيلة وهي القتل . لاشك ان احترام حياة فرد واحد ،

اللغة والحضارة

الدكتور ريمون طحان

ما هي العلاقات الوثيقـــة التي تربط تدريس اللغة بتدريس الحضارة ؟ هذه المشكلة تهم بالدرجة الاولى أساتذة اللغات وبالدرجة الثانية أساتذة اللغة العربية الذين يدرسون لغتنا القومية الأغراب والاجانب والذين سوف يدرسون العربية في المراكز والدور الثقافية التي يجب انشاؤها في عواصم الدول الغربية والشرقية . ان هذه الدور ستلعب دوراً فعالاً في نشر حضارتنا وتعريفها .

ان تدريس اللغة العربية واللغات الاجنبية للأحداث لا يدخل في نطاق بحثنـــا : يكتشف التلميذ في المدارس الابتدائية البيئة التي تحيط به ويسعى للتعبير عن العـــالم المحيطي بلغة سليمة ساعياً للتخلص من اميته اى من اللغـة العامية واللهجة المحلية ويتقن بالمراس والتمرين شيئاً من اللغة الفصحى يعبر بواسطتهـا عن ذلك القـاسم المشترك والمفاهيم

هو الانسان البرىء في هذا المثال ، سيمنع من انقاذ عدد من الناس ، ولكن الاخــلاقي الذي يرفض التضحية بالبرىء لايسبب موت من كان بالامكان انقاذهم ، فموتهم اذن ليس نتيجة عمل لا أخلاقي ، أما التضحية بالبرىء فهي ارادة قتله أى القيام بعمل لا أخلاقي لا يغير من طبيعته ما ينتج عنـه حين تنقذ حياة الآخرين . وهكذا لاتجوز السرقة من أجل الصدقة ، ولا تجوز الاساءة مسبقاً الى شخص ما بحجة تلافي ضرر يمكن ان يسببه في المستقبل .

ومشكلة تبرير الغاية للوسيلة تظهر بوجه خاص في ميدان العمل السياسي وحجة الآخذين بفصل الأخلاق عن السياسة ان الغاية التي يراد تحقيقها تعوض عن الاثم الذي يرتكب من اجلها . والجواب هنا ايضاً ان لاشيء يبرر الاثم ، وان السيـاسة اخلاق قبل كل شيء . فهي ليست سببـــاً لتحقيق قيمة منفصلة عن طريق تقويض قيمة اخرى ، وانما هي تنظيم وتنسيق لجملة من القيم تتحقق متعاونة متكاملة .

وهنا يمكن ان نطرح مشكلة الاستغناء عن تحقيق قيمة معينة لتحقيق قيمة اكبر . ومثل هذا السلوك واجب في السياسة كما هو واجب في الأخلاق . ذلك اننا هنا نناضل بين قيمتين ونختار الأرفـع والأشمل وفق مقتضيات الأخلاق نفسها . فالمسألة هنا ليست مسألة تسويغ وسيلة خبيثة ، لأن افعال الانسان كلهـا في الحياة تقوم على مناضلة بين القيم ، ولأن الأخلاق في نهاية الأمر هي التي تعين سلم القيم وتفرض على الانسان ان يختار وان يتحمل مسؤولية اختياره الحر .

بديع الكسم

الشائعة التي تحتاج اليها البشرية جمعاء . فاكتساب هـذه التعابير والمفاهيم يتم في اللغة العربية الفصحى وفي اللغـات الاجنبية بواسطة المشاهدة والمحاكاة والحوار والمحادثة .

كلما ازدادت مكتسبات الطالب تعقدت التعـابير والمفاهيم فتصبح البيئة شاحبة باهتة لاتفي بغرضها فيأخذ الطالب وقد بلـغ مستوى من النضج والثقافة يتطلع الى الأفق البعيد حيث ترتسم حضارتـه القومية او الحضارة الاجنبية التي يدرس لغتها فيجب حينئذ تلبية رغبات الطالب واشباع نهمه وحبه للاطـلاع بربط دروس اللغة بدروس الحضـارة . ان دروس المصطلحات والكلمات الصعبة التي يصـادفها الطالب تقوده لتفحص عادات خاصة واعراف شائعة في مواقع جغرافية معينة ولدى اقوام بعيدة او قريبة منا فينتهز المربي تلك الفرص ويبدأ بشرح الالفاظ لينتهي لى تفحص الحضارة ومظاهرها المختلفة والغريبة احياناً وكل لغات العالم تتضمن عددا وافراً من التعابير لامثيل لها في لغات اقوام يختلفون عنها حضارياً .

ونستطيع القول ان اللغة نتاج حضاري وهي من انتاج الشعب والقوم والامة وهي صالحة لقياس درجة رقي المجتمع ونستطيع الاضافة الى ما تقدم ان الرقي الحضاري يساير حركة الرقي اللغوي ، فاللغة والحضارة صنوان متلازمان لايفترقان نستشف من احدهما مقدار رقي المجتمع . ان الشعوب البدائية تعبر عن حضارتها البسيطة بلغـة خالية من التعقيد والشعوب المتحضرة تعبر عن رقيها بلغة غنية بالمفردات ومعقدة التركيب ، فاللغة اداة للتفاهم وهي وسيلة يستعين بها عدد من سكان منطقة جغرافية وينفرد هؤلاء بحـكم لغتهم عن الاقوام التي تحيط بهم وتصبح اللغة وسيلة للتعبير عن الآمال والمشاعر والعواطف وآداة طيعة للانتاج الادبي والعلمي وهكذا تكون اللغة مرآة صادقة للبطولات والاعمال الجليلة التي يقوم بها هذا القوم .

اضف الى ذلك ان التعابير اللغوية تحمل في طياتهـا ، عدا مدلولها اللغوى ، قـيما عاطفية وتاريخية تصبـغ التعابير بالوان خاصة وتمنحها ابعاداً معينة وتشبعها باحاسيس تهتز لها النفوس وتتحرك للذود عنهـا الهمم ، فالمروءة والكرم والشجاعة والحـلم والعرض ، تعابير تثير في العربي مشاعر لايحس بها هؤلاء الذين يقرؤونها في كتاب عربي ترجم الى الفرنسية او الفرنسية او الى الانكليزية .

يشعر الطالب والمدرس ان التعابير تحمل في طياتهـا معنى عميقاً يعبر عن تراث قديم قد يغيب عن الطرف ولكنه لن يغيب عن الذهن ويساق المدرس بحكم الضرورة لاجتياز براحل اللغة والدخول الى حقل الحضارة وقد يصبح درس شرح المفردات وسيلة للانتقال من دروس المعـاني الى تفهم قيم حضارية . وهكذا نلاحظ ان تدريس اللغة القومية او اللغة الاجنبية سيتحول - ان شئنا او أبينا - الى درس حضارة .

قد اجمع المربون على اعتبار ضرورة ربط دروس اللغة بدروس الحضارة ولكنه قد اشتد النزاع واستحكم الخلاف فمن قائل بضرورة منح المنزلة الأولى لدروس اللغة ، ومن قائل بضرورة منح المكانة الاولى للحضارة . اما نحن فعلينا ان نقف موقف المحايد ونحدد الاسباب التي دعت ودفعت الجانبين المتنازعين الى تمسك كل منهما برأيه .

يقول انصار اللغة اننا نتفهم بصورة غير كاملة الواقع الحضاري اذا كنـا نجهل لغته الأصلية او اذا كنا نسعى للتعرف عليه بواسطة الوثائق والآثار المترجمة وابدوا تحفظات حتى في جدوى وسائل الايضاح التي عم استعمالهـا كالصور والافلام والاسطوانات والمعارض الفنية والمتنقلة .

قالوا اننا نوافق على عدم اعتبار اللغة كمادة تعليمية بحد ذاتها ولكنها الأداة الوحيدة الصالحة لنتاج المجتمع الذي نسميه « أدباً » وكلمة « أدب » تحتوي على مفهوم نطلقه على التراث والكنوز الموروثة عن اجدادنا العرب ، ونعتبر كتاب الآغاني أدبا وكتاب البخلاء أدبا ايضا والجميع يعلم ان هذين المؤلفين يقدمان لنا صورة واضحة ليس للحياة الادبية فحسب بل للحياة الاجتماعية والفكرية، لا بل حتى للحياة اليومية . ان القارىء يقف بواسطتها على مختلف مظاهر الحياة الاجتماعية والحضارية ويجد فيها مقطوعات شعرية ووصف حوادث تاريخية وتحديد بعض الاماكن الجغرافية ومناظرات دينية وتوصيات لطهي وطبخ الاغذية ومجموعات من الطرف والملح الظريفة وخلاصة القول انهما حوليتان مملوءتان بالوصف الدقيق والنقد اللاذع - لحياة المجتمع العربي .

واخيرا يقول انصار اللغة : لعبت اللغة العربية دورا فعالا في نشر الحضارة الاسلامية وفي جمع شمل الامة العربية . انها اللغة الواحدة والموحدة التي لا تزال تقوم برسالتها الخالدة انها الوسيلة الوحيدة التي تفتح لنا آفاقاً للاطلاع على الحضارة العربية ، ولذا فنحن لن نرضى عنها بديلا .

يقدم الذين يقولون ويطالبون بضروره احلال الحضارة في المنزلة الاولى ومنح دروس اللغة الصرفة الدرجة الثانية الاسباب التالية :

- ان اللغة ليست مادة علمية بحد ذاتها بل هي وسيلة وأداة للتعلم ، فعندما يملك التلميذ مبادىء اللغة يجب ان يسعى لسبر غور الحقائق الحضارية ويهمل الجدل العقيم اللغوي للانصراف الى تفهم العوامل الحضارية والى اكتساب معلومات تجعل منه شابا مثقفا .

ان الاسباب الموجبة التي يقدمها الطرفان تستدعي الانتباه وتعتمد على اعتبارات منطقية وقيمة وسنسعى الان جاهدين لبسط وجهة نظرنا . نقول ان علم الحضارة حديث النشأة ولربما ستؤدي تطبيقاته الى حشد معارف متباينة والاولى تدريس اللغة وترك الحرية للطالب لكي يكتسب المعارف من مواد تعليمية اخرى . ان اللغة تتطور وهذا التطور يعكس الحوادث التاريخية وعادات وتجارب الواقع الاجتماعي والسياسي وبدورها هذه العوامل تترك اثرها في النصوص التي تتطلب ممن يود تفسيرها وشرحها والتعليق عليها معرفة مبادىء التاريخ والجغرافيا وعلم الاجتماع والحركات والتيارات الفكرية ، فلا نستطيع تعلم اللغة فيما اذا عزلناها عن أطرها الحضارية كما اننا لا نستطيع تفهم معنى الحضاره العميق اذا كنا نجهل اللغة . ولذا يجب معالجة اللغة والحضارة كوحدتين متكاملتين ولا يجوز تخصيص دروس منفصلة لكل منهما لئلا نضع حدوداً بينهما ونبعد الشقة بينهما ، بل يجب ربط دروس اللغة والحضارة ربطا محكما وانشاء علم جديد نسميه « علم اللغة والحضارة » .

كنا قد ذكرنا انه من المسلمات الان ربط دراسة اللغة في المرحلة الابتدائية بدراسة البيئة ، فلماذا لا نسير على نفس الطريقة ونفس المنهاج ونقيم صلات متينة في المراحل الاعدادية والثانوية والجامعية بين اللغة والحضارة ونصهرهما معاً لكي تصبحا مركبا واحداً مؤلفاً من عنصرين متماسكين ومتجانسين هما العنصر اللغوي والعنصر الحضاري .

نتداول التعابير اللغوية في حياتنا اليومية ونسكبها بقوالب خاصة في الانتاج الادبي ونستخدمها كأداة طيعة تطلعنا على المعتقدات والعواطف والمشاعر وتكشف لنا الحضارة التي ننضوي تحت لوائها . فالحضارة العربية تلهب

قلوبنا حماساً وتتحلى بهالة من القدسية تجعلها شبيهة بالعقيدة الدينية . ان الحضارة مجموعة من الظواهر الاجتماعية تتسم بطابع خلقي وفني وأدبي وعلمي وهي التى تجعل منا امة عربية متآلفة تشعر بوجودها وبوحدتها .

لقد تبين لنا ضرورة الاستعانة باللغة للوصول الى تفهم الحضارة ونرى الان انه علينا اثارة المشكلتين التاليتين :

١ – ان اهتمام المربين بعلم جديد وتركيبي لغوي وحضاري يدفعنا للتساؤل : من سيشرف على رعاية هذا العلم الناشيء ، من سيحدد مناهجه ومن سيهيء له الكتب اللازمة ؟ .

٢ – ان ماضينا وحاضرنا غنيان بأدبهما وتاريخهما وعلومهما وفنونهما واختراعاتهما وحافلان بالحوادث الهامة . انلتفت الى الماضي لمعالجته ؟ أنعير كل اهتمامنا الى واقعنا الاجتماعي ؟ اي هل نحلل حوادث فجر انبعاث حضارتنا او الأفضل ان نحلل مظاهر حضارتنا الحديثة ؟ .

تتطلب معالجة الماضي اوالواقع الحضاري جهوداً جبارة تستنزف قدرات اكثر من اختصاص واحد . وأول سؤال يتبادر الى الذهن هو : من الذي يقرر ويضع المناهج ومن الذي سيشرف على تأليف الكتب ؟

ان اول من يطالب بحقوق رعاية علم الحضارة هو المؤرخ ولا نستطيع انكار ما توصل اليه التاريخ من الرقي والتقدم منذ نصف قرن. أدخل المؤرخون مادة دراسة الحضارات في صلب بحوثهم وعالجوها بطرق سليمة ساعين دوماً الى اقامة تسلسل وتتابع في الحوادث ومقتفين اثرها للتوصل الى مسبباتها ونتائجها ولكنه يندر وجود مؤرخين لايسعون الا وراء الحوادث البارزة في حياة الانسانية جمعاً كالحروب والفتوحات فيصعب عليهم دراسة الظواهر الاجتماعية المختلفة الاشكال والالوان وهكذا فهم لا يؤدون لعلم الحضارة كافة حقوقه .

يتقدم عالم الاجتماع بدوره ليطالب بضم علم الحضرة الى اختصاصه ويقول ان الحضارة ظاهرة اجتماعية انما انني ادرس الظواهر الاجتماعية الوفيرة العدد والتي تتخذ اشكالا مختلفة حسب بيئة وزمان ومكان الحقل الاجتماعية ، فمن حقي دراسة الحضارة وعوامل تقدمها ورقيها .

هكذا يبدو لنا بوضوح ان المؤرخ وعالم الاجتماع ويجدان ضالتهما المنشودة في علم الحضارات ، ولكننا ننكر لهذا ولذاك حقوقه في معالجة علم الحضارات . يجب اعتبار علم الحضارة كجملة عضوية تتألف من مواد تاريخية وجغرافية واجتماعية وأدبية ولغوية وعلينا ازالة الحواجز التى تعيق التقاء المواد السالفة الذكر على صعيد واحد وعلينا اخيرا اعتبار علم الحضارة كمحور تلتف حوله علوم التاريخ والجغرافية والسكان والاقتصاد والسياسة والفن وقد انشأت الدول الكبرى الشرقية والغربية كليات خاصة لدراسة علم الحضارة وعلينا ان ننسج على غرارها وان ندعو اساتذة كافة الاختصاصات للمساهمة في دعم هذا العلم الجديد ، هذا العلم المستقبل الذي سوف يشق طريقه دون ان يقطع صلاته بالعلوم القائمة حالياً .

لانستطيع مطالبة مدرسي اللغة العربية والحضارة العربية او مدرسي اللغة الاجنبية والحضارة الاجنبية بأن يكونوا موسوعة ، بل علينا توفير الكتب التى لا تكتفي بسرد الحوادث التاريخية ووصف المؤسسات الاجتماعية ، بل تتعدى كل ذلك للوقوف على ظواهر حضارية نستخلصها من كتب الاقتصاد السياسي وتاريخ الفن وعلوم اخرى يوفق بينها لكي تبرز بجلاء ووضوح وجه الحضارة الواحدة.

وهنا يظهر خلاف وجديد بين انصار القديم وانصار العصر الحديث .

ينادي انصار القديم بضرورة الرجوع الى تراث حضارتنا العربية القديمة وبالبحث عن الكنوز الدفينة ، فماضي العرب القديم مورد غني ليس لتاريخ حضارتنا فحسب بل لتاريخ الحضارات جمعاء ، فنستطيع ايجاد نصوص قديمة جاهلية واسلامية واموية وعباسية ، تظهر علو شأن العرب في الشعر والفقه والتاريخ والجغرافيا والعلوم والفكر والفن . ان انتاجنا الحضاري القديم يشبه شعلة استنارت بها الانسانية وجزوة نار اضرمت الثورات وبعثت النهضات . فالانتاج القديم غني يتسم بطابع فني وادبي وسياسي وثقافي يتلاءم مع مختلف البيئات ويظهر باشكال متعددة ويترك فينا شعوراً جماعياً سيكون حجز الزاوية لوحدتنا الشاملة .

ينادي انصار الجديد بضرورة الاهتمام باوجه حضارتنا الحاضرة وعدم الالتفات الى القديم ويسعون للتعبير عن واقعنا ، ولذا تراهم يلتمسون معلوماتهم من انتاج الكتاب المعاصرين الهواة والمحترفين ويطلعون على مايكتبه المواطن عن الحركة الفكرية والفنية والاقتصادية ويحللون الرسائل ومقالات ومقتطفات منشورة في الصحف والمجلات حتى الرخيصة ، ويشكلون مما يجمعونه لوحة تعطي معلومات كافية ووافية عما يجري في حياة الامة العربية . ان الذين سلكو هذه الطريقة قد اخذوا بتحليل العقبة التى نعيشها وسعوا لتصوير الواقع الاجتماعي والثقافي والعلمي والسياسي : انهم قد بينوا ، حسب نظريتهم ، الدور الذي يلعبه صانعوا الحضارات اي المواطنين الأبرار .

نقف بين انصار القديم والحديث وقفة الحائر الذي يسعى للتوفيق بين الطرفين المتنازعين فنحن ننظر الى القديم بفخر ونتفحص الجديد بحماس ونرى ضرورة التعلق بالماضي المجيد وبالحاضر المتحول والمتغير والمتجدد والمساير لمتطلبات الحياة العصرية . اننا لانجحد فضل الماضي ولا نتنكر للحاضر ، بل نطالب برسم صورة كاملة عن الحضارة العربية ونتناول بالبحث والتمحيص الصفات التي يجب ان تتوفر في الوثائق او الشواهد الحضارية القديمة او الحديثة . تراعي في الوثائق البساطة والسلامة والدقة لئلا تخفي او تشوه الواقع فعليها ان تؤدي رسالتها بامانة تامة وعليها ان تكون واضحة المدلول وغنية بمحتوياتها الحضارية واخيراً عليها ان ترسم في الذهن والمخيلة بخطوط عريضة المميزات البارزة لحضارة معينة .

عدا هذه الشروط العامة ، هنالك طرق سليمة يجب اتباعها لتقرير درس في الحضارة او بالاحرى مراحل لعرض وثيقة او شاهد او نص حضاري على الطلاب او على جمهور من الناس :

١ المرحلة اولى : تشويق الطالب وجعله يتعطش للارتواء من الاثر الحضاري الذي سوف يعرض عليه ثم التكلم بنوع خاص عن الظروف التى ادت الى ظهور ذلك الاثر .

٢ - المرحلة الثانية : ازاحة الستار عن الاثر او تسليم الطالب النص .

٣ - المرحله الثالثة : اثارة مناقشات تبين ان الطالب قد تفهم مغزى الاثر الحضاري ، قد يحثه على اتخاذ موقف تجاه ما عرض عليه .

٤ - المرحلة الرابعة : التثبت بواسطة اسئلة واختبارات شفهية او كتابية والتحقق من تمثل الطالب المعلومات التي عرضها عليه المدرس .

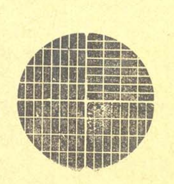
٥ - المرحلة الخامسة : تلخيص الدرس وطلب وظيفة كتابية تصلح كرائز وتبين مدى تفهم الطلاب لشرح المدرس وتعليقاته .

تختلف نوعية الشاهد الحضاري وهناك تحف او آثار فنية يستطيع المدرس الاستعانة بها وهنا ، نصوص مكتوبة تستعمل في اغلب الاحيان . يصعب على المدرس والتعليق على الاثار الحضارية والتحف الخالدة ونتاج المجتمع العربي في ماضيه وحاضره ، فذلك يتطلب منه جهودا جبارة لايجاد وشائج تربط الانتاج المادي بالتاريخ والادب وعلم الاجتماع تصبح وظيفة المدرس - يسيرة بعض الشيء - فيما اذا انتقى نصا ومنح ثقته لكاتبه الذي يقدم بطريقته الخاصة اوباسلوبه الشخصي مظهراً من مظاهر الحضارة فيجب على المدرس التدرج من السهل الى الصعب وانتقاء نصوص تتجاوب مع نفسية الطلاب وتتفق مع مستواهم الثقافي واختيار نصوص لها علاقة وثيقة بالعصر التاريخي الذي يدرسه الطلاب والتحري عن نصوص ذات مدلول حضاري .

اننا لا نبتعد كثيراً في شرح نص حضاري عن الطريقة المثلى المتبعة في شرح النصوص الادبية ، لكننا نوجه خاصة هذه التوصيات الى هؤلاء الذين يدرسون الحضارة العربية للأغراب : يجب انتقاء نصوص مكتوبة بلغة سليمة وواضحة لصفوف المبتدئين خاصة لئلا تحجب الصعوبات اللغوية فهم الرسالة الحضارية اما في صفوف المتقدمين فقد يزول العائق اللغوي ويتفهم الطالب الاجنبي النصوص الرائعة القديمة والحديثة التي تلقي اضواء كاشفة على العصر او الفترة او الحدث الحضاري واخيرا يجب تكييف كتب النصوص الحضارية حسب المناطق الجغرافية والقوميات والبلدان الاجنبية ولا يجوز مس كرامة وجرح شعور الآخرين ، فمجموعة النصوص الحضارية العربية التي تدرس في اسبانيا تختلف عن النصوص التي انتقيت خصيصاً لتدرس في روسيا او يوغسلافيا . ان الهدف البعيد من دروس الحضارة هو تحبيب الحضارة العربية وتقريبها من قلوب الأغراب والاجانب وخلق روح من التعاون بين كافة المجتمعات ورفع لواء الحضارة العربيه ليخفق عالياً في كبريات عواصم العالم .

نقول اخيرا ان مدرس الحضارة الضليع في مادته والمتعمق في ابحاثه والذي وسع آفاق اهتماماته واستقى معلومات قيمة قد تثبت من صحتها وتحقق من جودتها ودعمها بالأدلة القاطعة واستطاع ان يتحلى بروح نقدية ونزيهة ، لقادر على القيام بمهمته خير قيام - ولا يهمنا فيما اذا كان المدرس من انصار القديم او الحديث او من الميالين لايثارهم الشواهد الحضارية دون النصوص الادبية أو الآخذين بالطريقة الاستقرائية او الاستنتاجية او التحليلية او التركيبية بل يهمنا ان يتحلى المدرس بروح سمحاء تتجلى بدروس الحضارة العربية التي آل على نفسه خدمتها وكرس حياته لتعريفها وابراز محاسنها ومفاتنها .

الدكتور ريمون طحان



عيد الأم

قصة بقلم الدكتور محمد حاج حسين

. . . وفي المستشفى أغمي عليهـــا . . . لقد كانت الضربة قاضية ، وأسعفها الطبيب ، وفتحت عينيها الزجاجتين . . وابتسم الطبيب ، وهز برأسة ، وقال : تشجعي . . ارادة الله . .

وحملقت به نصف حملاقة ، وقد نزا الدم في عينيها الواسعتين اللتين هجع فيهما ألم لاحد له ، وأرادت أن تقول شيئاً ، ولكن الغصات لاحقتها ، واختنقت الكلمات في حلقها ، ونصل لونها ، وأغمضت عينيها ،وراحت في غيبوبة عميقـــة .

ونعمش الألم فؤاد الطبيب ، وندت منه آهة جريحة ، وانكب يسعفها ، ونفسه تتلظى في جحيم .. حقاً انها فاجعة تهد القوى .. شابة في الرابعة والعشرين من عمرها حباهـا الله كل المفاتن .. آمنة وادعة في بيتها ، مستسلمة الى حلم ريان تفاجيء بمصرع زوجها الطبيب الشاب الذي كان يقود سيارته عائداً من تأدية واجبه بزيارة مريض ، واذا بشاحنة ضخمة تصطدم به ، وتحطم سيارته ، وتمزقـــه أشلاء . واستعبر الطبيب المداوي ، واغرورقت عيناه بالدموع ، وهو يتأمل هذا المحيا الوديع الذي تنصع فيـــه بشرة نقية ، مزيج من الياسمين والورد ، وتتألق به عينان في زرقة السماء . وهذا الشعر الذي يتراءى كأسلاك من ذهب ، في صفرته ، ولمعانه ورقته ...مسكينة في ذروة سعادتها ، واطمئنانها الى يومها وغدها تأبى المأساة الا أن تمزقها ، وتفجعها بموت زوجها في هذه الطريقه المهيضة .

وأفاقت من اغمائها ، ورنت الى الطبيب بعينين ذاويتين واستطاعت ان تتمتم بلهجة ثوى فيها الحزن : اريد ان أراه .
تشجعي . سترينه .

ونهضت ، ولكن قدميها خذلتاها ، فاستندت الى ذراع الطبيب ، وهمس في أذنها : خير لك ان تعودي الى البيت .

-- وزوجي ؟ .

ماذا يستطيع ان يفعل لهـــا ؟ انه أشلاء مبعثره .. منظر يدمي القلوب . وسيطر على أعصابه ، وغمغم قائلا : دفن الميت اكرام له .

— أرجوك .. اسمح لي أن اتزود منه بالنظرة الاخيرة.

وقادها الى الغرفة الحزينة ، ورأت تابوتا ثوى فيـــه زوجها الذي كان قبل قليل تدب فيه الحياة حارة موارة .. وهكذا ينطفيء كل شيء . .

وتمشي في صدرها وجيف جبار ، وتهاوى رأسها على صدر الطبيب ، واندفعت منها شهقة داوية ، وراحت في اغماء شديد .

وبعد ايام استعادت هيام وعيها ، واكتنهت الحقيقة المرة .. لقد أحبته وأحبها ، ونعمت معه في سعادة طلقة عندما تزوجها .. كان مثال النبل أمضت معه ست سنوات لم يزعجها في خلالها ولو باشارة واحدة .. ورزقا ثلاثة أطفال وجدوا فيهم كل المنى . وفجأة ينهار كل شيء ، وتأخذه سيارة جانية كأنه لم يكن ، ويدعها وحدها في دوامة الحياة الكريهة .

لم يخلف لها مالاً ، فقد كان طبيباً انسانيا بعيدا عن كل استغلال ، واعتاد أن ينفق عن سعة ، ولا يحرمها شيئاً يشتري لها أفخر الثياب ، ويوفر لأطفاله كل المتع ، وهاهي تجد نفسها بغير مورد . . وساعدها أبوها ، وقدم لها بعض المال الذى بدأ يطير من بين يديها ، ولن يستطيع والدها ان يساعدها أكثر من هذا ، فهو موظف بسيط كثير العيال وأهل زوجها مساكين غير قادرين على ازجاء المساعدة لها .

واضطرمت بها الأحزان ، وهي ترنو الى اطفالها الذين ينادون بابا .. بابا .. بصوت يفتت الأكباد .. وهي تعللهم بالمنى الكاذبة .. بابا .. سيعود قريباً من سفره .

ومضت ثلاثة أشهر على وفاة زوجها لاقت في خلالها أشد ألوان الاسى .. كانت تحترق ، ولولا الاطفال لقتلت نفسها ، واستراحت من هذا الوجود الدامي .

وذات صبيحة أفاقت من نومة مروعة رأت فيها احلاماً مزعجة .. وأرخت لدموعها العنان ، وتتابعت جهشاتها وزفراتها وتمتمت يارب ارحم اطفالي اليتامى .

وفجأة ومضت في ذهنها خاطرة مانشبت أن رسخت وقلبتها على وجوهها المختلفة ، ووجدت فيها ضالتها ، واسرعت بارتداء ثيابها ، وأخذت أطفالها الى بيت أهلها ، واستقبلتها أمها ، واللوعة مرتسمة على وجهها .

وقالت الزوجة المفجوعة : هل عندك مانع من رعاية ولادي في النهار ؟

— لا .. يا حبيبتي .. ولكن ماذا تقصدين ؟

— سأشتغل يا ماما .

— تشتغلين ؟

— نعم يا ماما .

وفاض الألم بالأم ، وقالت بصوت متهدج : ماذا تشتغلين ؟ انك لم تخلقي للشغل .

— يجب ان أربي أطفالي .

— ألم أرجوك مراراً ان تعيشي معنا ؟

— لن أكلفكم فوق ما تستطيعون .

— يا بنتي الحبيبة .. لن تزعجينا .. اننا مستعدون ان نتقاسم اللقمة معك .

— يكفي بابا ما يلاقيه في تدبير معاشكم .

ولكن ماذا تشتغلين يا هيام ؟

— سأتعلم تفصيل الثياب وخياطتها .

— عمل شاق .. يا حبيبتي . .

— العمل هو الخلاص الوحيد .

وذهبت هيام الى خياطة بارعة ، وأفضت لها برغبتها في تعلم الخياطة ، ورقت لها هذه ، فقد رأت فيها تمثالا جسد الجمال الحزين ، والكفاح المرير ، فرحبت بها ، واعطتها الكثير من قلبها وفنها . وبعد ثلاثة أشهر اتقنت هذا الفن فقد منحته جماع عواطفها ، ووهبته كل حاسة فيها حتى قالت لها الخياطة : انك تستطيعين ان تختصي الآن بمحل لك . . وسأرسل اليك بعض عميلاتي . انك موهوبة في الخياطة ياهيام . .

— لا اعرف كيف اعبر لك عن شكري لجميلك .

وباعت قسما من أثاث بيتها ، واشترت « ماكنة » خياطة ، وقبعت في بيتها بعد أن اعلنت في كل مكان عن عملها .. وبعد ايام قليلة جاءتها سيدة وقدمت لها ثوبا لتفصله لها ، وأتقنت خياطته ، وأعجبت به السيدة ، ووافقتها بثوبين آخرين ، وتكاثرت عميلاتها ، وارضتهن جميعاً حتى زحمها العمل ، ووجدت فيه تسرية عن احزانها .. كانت

تعمل ليل نهار ، ثم استعانت ببعض العاملات ، واستفاضت شهرتها حتى اصبحت الخياطة الاولى في البلد ، وتدفق عليها المال . وظلت صورة زوجها تلازمها ليل نهار ، ومنه كانت تستمد قوة هائلة تدفعها الى العمل الجاهد لتوفر المال لأطفالها الذين كبروا ، وازداد مصروفهم ، وادخلتهم ارقى المدارس.

وكلما تقادم بها العمر ازدادت جمالا ، ونصعت النضارة في وجهها الذي كان يبدو وهي في الاربعين من عمرها كوجه عذراء في العشرين غضاً طرياً بعيداً عن كل غضون تبرق فيه الطمأنينة ، وينعكس عليه هذا الهدوء النفسي الذي كان يتوامض في اعماقها .

وتقرب اليها الكثيرون ، وخطبوا ودها يريدونها ان تستأنف حياة جديدة في زواج آخر بيد انها رفضتهم جميعاً لأنها وهبت حياتها لأولادها ، وكبتت نداء الجسد لتصغي لنداء الروح ... كفاها سعادة أن ترى أطفالها يشبون ويكبرون ويتعلمون ، ويتمتعون بالحياة مثل ابناء الاغنياء

وسكت صديقي الدكتور حسان ، واشعل لفيفة ، وقدم لي اخرى.. وسهمت نظراته في الافق البعيد ..وقال: ما رأيك في هذه المرأة ؟

— مثالية .

— وماذا ايضاً ؟

— شجاعة تستحق كل تقدير .

— نسيت ان أقول لك ماذا كانت ثمرة جهودها .

— لقد حدستها .

— ماذا ؟

ربت أولادها خير تربية ، وعلمتهم احسن تعليم حتى أصبحوا نافعين لأمتهم .

— صدقت . احدهم اصبح جراحاً مشهوراً ، والثاني مهندساً بارعاً ، والثالثة اكتفت بالشهادة الثانوية ، وتزوجت وهي الان سعيدة في زواجها،وعندها طفلة جميلة تشبه جدتها.

— في الحياة جنود مجهولون يستحقون كل تكريم .

— مضى عليها ربع قرن،وهي في هذا الجهاد المستميت رغم ان المال تدفق على ولديها .

— العمل أكبر لذة في الوجود .

— أما آن لها ان تستريح ؟

— هذا عائد اليها

وشد بضعة أنفاس من لفيفته ، وراح ينفثها بعصبيته ، وهتف : يجب أن أمنعها من العمل .

— ولكن ما شأنك فيها ؟

قل لي بالله عليك .. اما آن لهذا الفارس ان يترجل ؟

— ولماذا تتدخل في شئونها الخاصة يا حسان ؟

— كيف لا اتدخل ، وهي امي ؟

— امك ؟ .

— ألم تفهم بعد ؟ انها امي الحبيبة .

— ما اروعها من ام .

— سنتغدى معاً هذا اليوم لترى انها فوق مستوى البشر.

— هذا لاشك فيه .

— اليوم يحتفلون بعيد الأم في كل مكان ... وهي فكرة انسانية جليلة ، فالحياة بذاتها ام .

— صدقت .

— قبلت يدها في الصباح ، وغمرتني بقبلتها ، وقلت لها: ماذا تريدين ان اقدم لك يا ماما في عيدك ؟ ورتعت على ثغرها ابتسامة راضية وقالت : خير هدية لي أن تتزوج لأحمل بين ذراعي طفلك الجميل قبل موتي .

— بسيطة . حقق لها هذه الأمنية .

— يستحيل ان أتزوج ما دامت على قيد الحياة .

— ما المانع ؟

— لقد تزوج اخي ، واذا فعلتها فلا بد ان استقل في بيت خاص مثل اخي . . هل تريدني ان اتركها تعيش في الوحدة بعد ان بلغت هذا السن .

— معك حق .

وتأبط ذراعي ، وابتلعتنا السوق الكبيرة لنبحث عن هدية نقدمها لها في عيدها عيد الأم ...

« محمد حاج حسين »

الرعب والخلاص

شعر : سهيل حجي

افتحوا الدرب له ،
عاد يجتاح الدروبا !
يمتطي الريح ، يرش الارض موتا ولهيبا ! . . .
انه عاد جموح الخطوات ،
فارس الرعب ، الرهيب القسمات ،
وجهه من ظلمة التاريخ ، من ليل الطغاة !
الف هولاكو على سحنته ،
الف ظل للغزاة !
حبلت بل بالشر كفاه ، وضجت بالاذاة .
انه قد عاد مجنون الرؤى دامي الرغاب
جرحت اقدامه صدر التراب ،
ان في عينيه شوقا للضحايا .
هيئوا الموكب والكاهن ،
واقتادوا الضحيه ،
واخشعوا بين يديه ،
رددوا تلك الصلاة الوثنيه !
نجنا يارب من طعم الخطيه .
نحن من اجلك يارب ضحيه .

اغسلوا بالطيب اقدام الآله ،
وافرشوا الدرب له بيض الجباه !
انه قد عاد مزهواً يباهي ! !
لم يعد يكفيه ان نطعمه لحما ،
ونسقيه دموعا ! . . .
شبع الفارس لحما ودموعا !
شبع الفارس ذلا وخشوعا !
انه يطلب ان نصاب في موكبه
بكر العذارى ! . . .
نحرق البخرر اطفالا صغارا ! !
انه عاد الينا
فاصلبوا بكر العذارى
واحرقوا البخور اطفالا صغارا !
قدموا الشرق ذبيحه !

★ ★ ★

انه جاء .. اعدوا الرمح للتنين ،
للوحش الرهيب ! ...
افقأوا عينيه بالرمح المحمى

هشموا الناب المدمى

مزقوه ..

بعثروا اشلاءه في كل ريح

مذ متى يأتي الينا ؟

يتحدى ! يستبيح !

يستبي منا سراري الأمير

مذ متى كنا جواري ؟!

مذ متى كنا سراري الأمير ؟ !

★ ★ ★

امس كنا

يرتوى التاريـخ من نهر الفرات

امس كنا بابلا نسغ الحياة !!

اين يابابل يا ارض الاساطير العتيقه ! ؟

اين يا أم البطولات العريقه !؟

اترى ما عاد فينا ،

فارس يهدى عروقه !؟

اترى ما عاد فيك مفتدون !؟

★ ★ ★

ها هو الفارس قد شق طريقه !

أيها المولود من صلب الحقيقه ! ...

رد عنا الوحش ، مزق جبهة الشر اللعينه ؟

رد للشعب السكينه !

سدد الطعنة ... اتبعها بأخرى

هدأ الوحش فاتبعها بأخرى

سلم الزند الفتي !

صرع الوحش ... توارى

اضفروا الاكاليل للظافر زيتونا وغارا

مجدوه ! ... مجدوا الفجر المطلا

شرقنا ما عاد رعبا

شرقنا ما عاد ذلا

انه ما عاد افيونا ... تكايا .. وحريم ...

لا ولا عاد خرافات ذليله

شرقنا شرق البطوله ...

★ ★ ★

صرع الوحش ... ثواري

اضفروا الاكاليل للظافر زيتونا وغارا

سهيل عجي

وطني قد حملت باسمك همي

القيت في مهرجان الشعر الرابع
في حلب

ياخليلي[1] أي نعمى تدوم !..
سبقتني الى الصباح الهموم
قلت للهم ، عندما اقبل الهم
وغابت في خدرهن النجوم
مرحباً ياأخا الدجى ، فاض كأ
سي بسلاف الدجى .. وغاب النديم
فأدرها مابيننا ، فلنا اللي
ل كما فض دنها المختوم
تخطف النجم من بعيد فيهوي
حبباً فك عقده المنظوم
وتذر الظلام في مقلتينا
فاذا الأرض والسماء سديم
واذا الصبح لم يبن عن سوي القبح
فخير منه الظلام البهيم

* * *

(١) من ديوان الاستاذ الشاعر محمد الجنيدي (زارع الزيزفون) الذي ظهر حديثاً .

وطني ! قد حملت باسمك همي
فزكا فرعه وطاب الشميم
لك في كل خفقة من فؤادي
هبة حلوة وظل رخيم
كيف يقوى على إذيتك الظا
عن منا ، ويرتضيها المقيم !..
وبانفاسنا ترف عطايا
ك ، كما رف في الرياض النسيم
ماسمونا الى علاك ، أنسمو
والأشقاء في هواك خصوم !..
صغرت أنفس ثناها عن المجد
بريق من فضة ... ونعيم
ونداء الاغراء يفعل ما لا
يفعل الهول والعذاب الأليم
رب نسر ينال من عاصفا
ت الريح ريشاً يعلو به ويحوم

فاذا استيقظت بـــه شهوة الأر
ض هوى لـــلأديم ... فهو أديم

قيـــل عاد عـــكاظ ياأخت حمدا
ن [١] ، فهل عاد يومك المعلوم ؟..

يولد الشعر حيــثما يولـــد المجـ
ـد ... كلا التوأمين بر رحيم

للجنان الفناء بلبلها الهـــا
ئم وجـــداً ، وللخراب البوم

جئت ناديك ، هـــل أغني بنا
ديك ؟ وقد غنت الفحول القروم

أو ماتسمعون لليـــل في الشهبـــا
ء شـــدواً ، من دونه الترنيم !..

أخذ الكأس من يـــد المتنبي
فاذا النجم نجمـــه لايريم

أرهف السمع ... فالعليـــل بأذ
ني ... وهذي جيوشنا والروم

ما تراهم تصدعو ... وابن حمـــدا
ن منيع ... وللغبـــار قتـــوم

والأشـــداء حـــوله يتـــداء
ون ... فذا مثخن وذا مهزوم [٢]

أرهف السمع عـــله يوقـــظ العز
ة هـــذا الصدى ، وهذه الرسوم.

★ ★ ★

أخت حمدان ، عفو سمعك ما
غنت جراح ، وما أفاضت كلوم

مرمرت شـــدوي اللـــيالي فلالا
هـــة وقـــع ، وللأسى تنغيم

ســـأل الساج : أين فارسه الأصـ
يـــد ؟ فاهتز صـــارم مثلوم

فعلت فيـــه عاديات الليـــالي
فعـــله في الرقاب وهو فصيم

وجـــا الومض في ظبـــاه كما تفـ
ـعل في أوجـــه الرجال الغموم

ان يكـــن فيـــه فضل لنزال
فالحلاق الإرث الكـبير القـديم

ياأخا الساح ماشجاك شجـــاني
وحـــدت بيننا الليالي الحسوم

والذي مر في خيـــالك طيفا
ه ، بعيـــني ومهجتي مرسوم

للقـــوافي عليـــه ما للعوالي
دمع هـــذي لدمع تلك غريم

أتراه ، لو عـــاد حياً اليـــنا
وجهـــه الأبيض الحبيب الوسيم

ماعساهـــا تقول للفـــارس الشا
عر هذي الربى، وتلك التخوم ؟..

أفيرضي أبا فراس مغـــانـ
مقفرات ، وشامخ مهدوم !..

أومان يسعى اليهـــا شعو
بي حقود ، غرته منا الحلوم !..

أنكر التردد في الجفـــان العريضا
ت.. فمنـــا النـــدى ومنه السموم

---

(١) المقصود بأخت حمدان حلب ، حث اقيم المهرجان .

(٢) اشارة لبيت المتنبي : تمر بك الابطال كلمى هزيمة ...

ورمانا بالعقم . . . فالدهر مـازا
نتـه منـا حضـارة وعلوم

شاء أن ينكر الصباح وشمسا
ه على المشرقين ، فهو كظيم . . .

هـذه ، هـذه جزائرنا الغرا
ء فجر من الضيـاء يتيم

في سويـداء كل حر لهـا رسـ
م ، ورسم في هدبـه مضموم

ولو اني خطفت من قمـة الأورا
س ومضـاً لعـانقتني النجوم

ولـاجت دمشق بـين قوافي
كما شـاء روضهـا المرهـوم

طـاف قلبي... فحار في غوطة الشا
م . . . فقلـبي المنعـم المحروم

كشعاع تقاذفتـه ظـلال الحو
ر في دمـر . . . فظـل يهيم

★ ★ ★

قـد هدتني ضـلالة الشعر في قو
مي ، فـدربي السالكين قـويم

شـوكه نرجس ، وسقيـاه خمر
والأليفـان : نبتـه والغيـوم

وتراني أعـانق الحسن فيـه
مثلما عانق الحميـم الحميـم

أنامنه ابن الشاطىء الهائم الساجي
.. هوى ضائع ، وطرف كتوم

حجب الفتنـة البتول حيـاء
فجلاهـا حجـابه المزعـوم

جئت أشدو بهـا وقلبي على الشـا
طيء ، يعـلو في لجـه ، ويعوم

نظمتهـا (أم الصبـايا) [1] كما ينـ
ظم حب السحاب غيث عميـم

فعلى صدرها من (الزيرة) [2] الخضـ
ـراء ثوب مزركـش مرقـوم

وبأذيالهـا من الزبـد الأبيـ
ض وشـي منمنم مخـزوم

«كلـما رحبت بها الروض قالت
حلب قصدنا ... وأتـاع ريم» [3]

هي للمجـد منزل ومقـام
وهي للشعر زمزم والحطيـم

فاتركاني أعب من يدهـا الرا
ح ، لعلي بهـا تريم أهيـم

واجعـلاني على خزائـن حسنـ
ـها . . . فـإني بهـا بهن عليـم

محمد جنيدي

---

(١) أم الصبايا : اسم عين قرب قرية الشاعر ، ويقال انها سميت كذلك لان صبايا بني هلال مررن بها فأقلن .

(٢) الزيرة : اسم الوادي الذي تجري فيـه عين ام الصبايا ، ويقال انه سمي كذلك نسبة الى الزير .

(٣) تضمين لبيت المتنبي :

كلما رحبت بنا الروض قلنا   حلب قصدنا وانت السبيل

المعلمون أولا

عرض وتعليق على الكلمات التي القاها الاستاذ
احمـــد الخطيب في مؤتمر المعلمين في الجزائر

ليس العالم ملكا للسياسيين بل للشعوب بقيادة المعلمين ... ان ما يمكن ان نصادفه من أمور غير انسانية في هذا العصر يعد المعلمون مسؤولين عن جزء غير يسير منها » ...

وقفت طويلا عند هذا المقطع : «امور غير انسانية» وما اكثر ما تعاني من امور غير انسانية ! . . امور واحداث تتخطى انسانية الانسان وتدوس كرامته ، وكثيراً ما تجعله سلعة وتساوم عليه .. وبماذا .. ؟ ومن هم المسؤولون عن ذلك ... ؟

السياسيون ..؟ الحكام ..؟ القادة ..؟ المنظمات ..؟ الاحزاب ..؟ العمال ..؟ المثقفون ..؟ الفلاحون ..؟ ..

كل فئة تلقي المسؤولية على الفئة الثانية .. وتضيع الانسانية .. وتسرق حرية افرادها ولا نعرف لمن نلجأ ولا ما نصنع .. ؟

والسؤال الاكبر ؟ من الذي يربي السياسي والقـــائد والعامل .. والمثقف ؟

وهنا يحدد الاستاذ أحمد الخطيب نقيب المعلمين بسوريا بكلمته الرصينة التي القاها في مؤتمر المعلمين الدولي الرابع المنعقد في الجزائر وظيفة المعلم ويحمله بجرأة ووضوح مسؤولية العالم باكمله مسؤولية الانسانية جمعاء واخطاء حكامها وانتشار المجازر والاحداث غير الانسانية فيها .. فيقول ..

ايها الاصدقاء :

انه لشرف عظيم ان اقف واكلمكم في هذا المؤتمر الدولي الذي نعقد على نتائجه الآمال الكبيرة .. وانني اتوجه بأعمق الشكر للسادة الذين نظموا لنا هذا اللقاء المثمر واخص بالشكر الجزائر العربية ورئيسها الأخ احمد بن بلا التي استضافت المؤتمر بما عرف عن العرب من كرم مشهور منذ اقدم العصور ... ويسرني منذ البدء ان اذكر المؤتمر بان عقلية هذا العصر - وكل عصر - هي من صنع المعلمين لذلك دعونا - ايها الاصدقاء - نعترف بحقيقة ولو كانت مؤلمة هي ان ما يمكن ان نصادفه من امور غير انسانية في هذا العصر يعد المعلمون مسؤولين عن جزء غير يسير منها فلا بد اذن من ايجاد الوسائل التي تقرب بين المعلمين في جميع انحاء العالم لكي يتمكنوا من وضع شعارات وخططاً تخدم مستقبل الانسانية اذا ربي عليها اطفال العالم .

ويمكن لمؤتمرنا هذا مثلا ان يتوصل الى نقاط التلاقي الاتية في التربية .

١ - تربية النفس ، على ضرورة احترام الانسان كانسان وضمان حريته في وطنه وكفالة المستوى الاقتصادي اللائق بانسانيته ، وتقدير حريته الشخصية ضمن المبادىء القومية الاشتراكية الانسانية .

٢ - ضرورة خلق جو من المحبة بين الامم على اساس الاحترام المتبادل واحترام الاستقلال الوطني وحق تقرير المصير .

٣ - احترام الاماني القومية لكل امة ضمن اعتبار المجتمع الانساني كلا موحدا تقدم كل امة في سبيله ماتملكه من معاني الحق والخير والحضارة .

ايها الأصدقاء :

يجب ان يرفع المعلمون شعاراً تاريخياً يكون لمؤتمركم شرف وضعه في التاريخ وهو :

« ليس العالم ملكا للسياسيين بل للشعوب بقيادة المعلمين » .

وهذا الشعار يعني ان العمل التربوي التوجيهي يجب ان ينطلق لخلق انسان جديد حر يتمتع بالحرية والكفاية يحترم أخاه الانسان ولا يفكر في الاعتداء عليه .

ايها الاصدقاء :

ان بلدنا سوريا جزء من الوطن العربي ، اشتراكي ثائر ولقد صادف كثيرا من المصاعب في تعميم التعليم ورفع مستواه ومستوى القائمين عليه من المصلحين والاداريين ..

ذلك ان سوريا قد قدر لها ان تخوض معارك ذات جوانب متعددة كان العدو الاول فيها الاستعمار والصهيونية في الخارج ، وكان العدو الثاني فيها اليمين العربي الرأسمالي الشرس في الداخل .

لقد اقام الاستعمار مع الصهيونية في قلب الوطن العربي دولة لعصابات صهيونية مجرمة حاقدة في فلسطين ، ان الاستعمار قد اقام اسرائيل للحيلولة دون توحيد الامة العربية وذلك بفصل المشرق العربي عن المغرب العربي ، ويرمي الاستعمار والصهيونية الى تهديد العرب الدائم ودفعهم الى صرف دخلهم القومي على شراء الاسلحة والتأهب للحرب الثأرية لاستعادة الحق المغتصب في فلسطين مما يدعو الى التأخر الحضاري فلا يفيق العرب على خيراتهم البترولية التي تتناهبها الاحتكارات البترولية الغربية بخبث اللصوص .

ان مقتضيات الامن القومي تجعل قضايا الدفاع المشروع عن حقوق العرب تستأثر بالقسم الاكبر من دخلنا القومي ، مما يجعلنا نعاني نقصاً في المعلمين وفي الابنية المدرسية واكتظاظاً في عدد التلاميذ في الصف .

الا ان دولتنا تبذل كل طاقاتها من أجل تعميم التعليم وفي احصاء عام ١٩٦٤ كان لدينا :

٥٠٠٠	مدرسة ابتدائية
١٦٠	مدرسة ثانوية
٤٠٠	مدرسة اعدادية
٤	معاهد عليا فنية
٢	جامعتان

ايها الاصدقاء :

لا يمكن لسوريا او لغيرها من الدول العربية ان تنهض بالتعليم الى المستوى اللائق الا بالقضاء على الصهيونية والاستعمار في فلسطين والجنوب العربي وعدن والخليج العربي وعند ذلك تتوجه امكانات البلاد المادية الى المزيد من الخدمات التعليمية .

لا تعليم ولا تربية الا بتحقيق الاهداف القومية لأمتنا .

ماأعظم رسالة المعلم عندما يتاح له تحقيقها . . ماأروع الجيل الذي يربيه معلم حر فيخلق منه انساناً حراً مسؤولاً واعياً يعرف مايريد ومسؤول عما يفعل . .

ماأروع ذلك الانسان يوجه الامة ويخلقها بالشكل الذي يريد . . يخلقها مجدداً حرة محترمة . . وما أروع الانسان يعرف هذه الامة التي يقودها المعلم ويضمن لها الاحترام والعيش الكريم . .

وكان لوفدنا ايضاً موقف مشرف جداً وذلك عندما شجب السيد دولانو رئيس Fise بتقريره التدخل الاميركي في فيتنام الجنوبية وبعض مشكلات البلدان الأخرى دون ان يشير الى قضية فلسطين والجنوب العربي وبقية القضايا العربية ... اعترض السيد احمد الخطيب رئيس الوفد العربي السوري على ذلك والقى الكلمة التالية :

« ان وفد نقابة المعلمين في الجمهوريه العربية السورية يرى ان يبحث في كفالة الحياة للاطفال قبل ان تبحث في أمر تعليمهم » .

ان وفدنا سيستغرب عدم اشارة التقرير الى حال ابناء اللاجئين العرب الفلسطينيين المشردين عن وطنهم وبلادهم فلسطين بسبب تآمر الاستعمار والصهيونية .

ان اطفال هؤلاء العرب يموت نصفهم قبل الثانية ولا يتلقى النصف الثاني العلم بشكل مقبول وكذلك الاطفال العرب في عدن والجنوب العربي حيث يحارب الاستعمار هناك العلم والمعلمين والاطفال الابرياء .

ان على مؤتمرنا ان يشجب كل تآمر استعماري صهيوني على حياة الاطفال وتعليمهم وتحقيق انسانيتهم في العالم اجمع »

وقد وافق السيد دولانو على هذا الاعتراض واعتذر بأن تقريره لم يكن الا تقريراً تمهيدياً فقط وعلى اثر ذلك قام المندوب الصيني وقال: ان الصين مع الشعب العربي في جميع اقطاره في تضامنه ضد الاستعمار ..

وكذلك كان موقف وفدنا بالنسبة للغة العربية محترماً جداً . فقبل افتتاح الجلسة اشار الوفد الى المسؤولين الجزائريين بالاهتمام باللغة العربية في المؤتمر باعتبارانها اللغة الرسمية للجزائر البلد المضيف وانه يجب ان تترجم الكلمات والمقررات ايضاً الى اللغة العربية عند الالقاء كما تترجم الى الانكليزية والفرنسية والاسبانية فوافقوا على ذلك .

اعود وأقول ... رسالة المعلم واضحة اذا عرفها ... مسؤولية المعلم كبيرة ، فعلى عاتقه تقع مسؤولية الجيل بل مسؤولية الامة والانسانية .

وهنا لابد من سؤال مر مرارته تدمي القلب احياناً وتجعله ينزف ..

ماذا يلقى المعلم في مجتمعنا . . كيف يعيش .. ؟ .. ماهو مكانه ..؟

ولن اجيب بشيء .. لأن أي جواب يشوه الواقع ..

مع كيركجارد في عزلته

بقلم : فراس سـواح

قبل ان نبـدأ الحديث عن الفيلسوف الدانمركي كيركجارد لابد لنا من التذكير بمفهومين يتكرران كثيراً اثناء دراسة الفلسفات الوجودية. وهما مفهوم الوجود ومفهوم الماهية . فالوجود هو ما ينقـل الشيء من مجرد الامكان الى حيز الواقع ، وعلى العكس ، فان الماهيـة هي التي تشكل الخلفية الكامنة وراء كل وجود ـ واقعياً كان أم ممكناً ـ انها الوجود قبل ان يتخذ شكل او صفة الواقعية انها ما يميز الشيء عن غيره من الاشياء . فماهية الانسان مثلا ، هي كل الصفات التي تميزه عن غيره من المادة الجامدة ، او الارواح الملائكية ، او ما شابه ذلك . فاذا انتقلت هذه الماهية الى حيز الواقع ، اتخذت صفة الوجود .

وقد كانت اغلب الفلسفات قبل كيركجارد تصر على الماهية ، صارفة النظر عن البحث والاهتمام بالوجود ، فكانت اسيرة البحث في عدد من التصورات مثل جوهر ، وحقيقة وعلة ... محاولة بناء نظم فلسفية موضوعية متكاملة ، تفسر العـالم والكون والمعرفة والقيم ، متعامية عن ذلك الوجود الفريد للذات الانسانية. فكان الفكر اداة المعرفة الوحيدة وكان شرط العقل في نتاجه التجريدي ، ان يكون متطابقاً مع منطقه الخاص ، دون النظر الى ان يكون لهذا النتاج ما يبرره في تجربة الانسان الموجود .

وقد كانت فلسفة « هيجـل » بالذات ، الممثل الاول لتلك النزعة العقلية . لقد حاول ان يشيد بناء متكاملا من المفاهيم ، اذا ما خضعت للمنطق الصرف فلا بد من ان تطابق الوجود ومن هنا جاء تعبيره الشهير : كل ما هو عقلي هو واقعي ، وكل ما هو واقعي هو عقلي « وبذلك تبلغ الفلسفة المثالية ذروتها . »

ولكن كيركجارد وضع نفسه على النقيض تماما لكل نزعة عقلية او مثالية ، لقد ثار على فلسفة الاشياء ، وفلسفة الافكار ، واضعاً مقابلهـما فلسفة الانسان ، فلسفة الوجود الانساني ، فكانت ذاته هي الموضوع الوحيد الجدير بالمعرفة والبحث ، فأخذ في مراقبتها ووصف ما يجري في اعماقهـا باحثاً من حقيقة ذاتية الذات ، لان المعرفة الموضوعية للذات مستحيلة تماماً ، وهي لا تدرك الا عن طريق وصف حالاتها المختلفة ، دون امل في الوصول الى نظرة شاملة تحيط بهـا

وهيهات ان تستطيع وسائل التعبير العادية ان تعطي صورة صادقة لتلــك الذات الحبيسة الحزينة. فمدركات اللغة، ومواصفات الكلام تقف عاجزة عن الافصاح عمـا يجري هناك في الاعماق.

تلك الردة المتطرفة نحو الذات، جعلت كير كجارد يعزف عن المعرفة الواضحة المشتركة بين الـكافة، ودعتـه لى انكار كل قيمة للمعرفة الموضوعية. فالحقيقة لا تصبـح حقيقة الا باعتناقها اذ لاغنى للحقيقة عن ان تكون حقيقتي انا كيما تكون جديرة بهذه التسمية، فليس يكفي ان تعرض في نظام منطقي مجرد، بل يتعين ان تكون موضوع تجربة وجودية معاشة، يتعين ان تتعلق بفعل وجود عياني لا بعقل مجرد، سواء كان هذا العقل هيجيلياً ام كانتياً.

وعندما يتساءل الانسان عن الحقيقة، فهو انما يضع سؤاله هذا بصيغة شخصية صحيحة، يقول كير كجارد في مذكراته: « ان المسألة هي ان اجد حقيقة من اجلي أنا، ان اجد الحقيقة التي من اجلها احيا وأموت. »

فكير كجارد يعلن ان نتاجــه ليس الا تعبيراً عن حياته الخاصة، وهذه الحياة هي الفعل، وليس التفكير ففي الوقت الذي يدعي هيجل انه يقدم المعرفة الشاملة التي تحل جميع التناقضات الكونية والانسانية، يأتي كير كجارد لينكمش على ذاته ويعتبر وجوده الشخصي الحقيقة المفردة التي لا يمكن المشاركة فيها من قبل موجود آخر. وفي هذا الحضور الفريد للذات، لا يأخذ الفكر قيمته، الا من حيث هو ظاهرة من ظواهر هذا الحضور وهذا الوجود. ان كوجيتو ديكارت: « انا افكر.. اذن انا موجود » يأتي بشكل آخر، فأنا موجود، وانا افكر في وجودي. اذ ان التفكير لا يسبق الوجود بل يأتي نتيجة له.

تلك هي تجربة كير كجارد، تجربة العزلة، والخلوة بالنسبة للاخرين والمجتمع لقد أحب أباه، وأحب خطيبته وفقـدهما، فقـد اباه بقرار من الموت وفقــد خطيبته بقرار من ذاته، ذلك القرار الذي اتخذه زهداً في حياة اجتماعية بورجوازية، واعراضاً عن اسلوب الوجود يجعـل الفرد عضواً في كل تتلاشى فيـه فرديته. فهو عندما عرف خطيبته عرف الحب الانساني من خلالها، وبالرغم من حبها الشديد له وتمسكها به، تراجع خشية ان يكون هــذا الحب خداعاً يحوله عن عزلته، ويخرج به عن طريقه الذي اختار سلوكه. فقد كانت كآبته تشكل حاجزاً بينه وبين الاخرين. وقد آثر العزلة لعجزه عن تحمل احكامهم. وفي هذا الشعور بالعزلة نجــد عند كير كجارد اصل تحليلات الوجودي المعاصر سارتر لمشكلـة الاخر، فليس الاخرون الا جحيما لا يطاق كما يقول في مسرحيته: الابواب الموصدة. لان الذات عند الوجوديين معزولة كل الانعزال عن بقية الذوات دون أمل في الاتصال. لذلك فكير كجارد لا يعبأ بكل حالات البحث التي تعالج الانسان بوصفه فرداً في جماعة، وتفسر كيانه بكيان المجتمع.

وعزلة الذات الفردية عن كل ذات أخرى. واستحالة حصول اى اتصال مع الاخر. كل ذلك يستدعي أن هذه الذات هي التي تشق طريقها بنفسها، لان الاخر لا يستطيع من اجلي شيئاً، وعليه فأنا حر تمام الحرية وأنا أختار.

وبذلك تطالعنا فلسفة كير كجارد بأول محاولة لتأسيس فلسفة أخلاقية وجودية دعامتها الاختيار والحرية، فالاختيار هو الطابع المميز للوجود. الوجود يعني أن أختار، وكل اختيار هو اختيار للذات، فانا لا أملك ذاتا متحققة كلها في الواقع، بل كان مالدي هو مجرد امكانية على الوجود، وهذه الامكانية تمنحني الحرية التى بها اختار ما اود ان اكونه لذلك فالوجود يسبق الماهية، فأنا أصنع ماهيتي عندما اسعى الى تحقيقها، وكل ذلك يتطلب مني المخاطرة وبالتالي يفرض علي الاختيار، فليس الوجود الا ما اختاره، وفي هذه العبارة الاخيرة يكمن الانقلاب الفلسفي الكبير الذي اتى به كير كجارد، وصار فيما بعد احدى مسلمات الفلسفة الوجودية.

ولكن هناك مشكلة بصدد الحرية الوجودية يغيرها كل من يتساءل عن مداها، وهي: هل تتقيد هذه الحرية بقيم ما، وهل تخضع لقوانين الخير والشر؟ الواقع أن حرية كير كجارد ليست الغاء لفكرة الخير والشر، وانما هي دعم لها، فالخير لا يصبح خيراً الا بارادتي وبوجودي الحر الذي يختاره، فانا يجب ان اختار ذاتي قبل ان يختارها لي الآخرون، ويجب ان اثق بذاتي وبقدرتها على اختيار ومعرفة الخير، لانه من المستحيل عليها ان تتلقى اشارات وتوجيهات من الخارج، هذا خير... وهذا شر... ولكنها تستطيع هي ان تقرر وان تختار، ولكن القرار لا يكون اخلاقيا وجوديا الا اذا صدر بقوة الصراحة والارادة الرزينة والنية الحسنة.

وهكذا فحرية كير كجارد لاتقصد الى اهدار القيم، بل هي استقلال الذات يجعلها مصدر كل سلطة. فاذا ارتقت الذات الى هذه الرتبة، واصبحت دعامة نفسها، ارتقت في الآن عينه، الروحية الخالصة، ووثقت صلتها بالمنطق الذى يتجلى لها في لحظة الاختيار.

والحق ان حضور الذات عند كير كجارد ليس امام نفسها فحسب — بل هي منعزلة انعزالا مطلقاً امام الله. فالفرد حاضر باستمرار امام الله، او كما يدعو كير كجارد باللامتناهي او المطلق او الوجود بالذات او الابدية. وكثيراً ما تكون حياة الذات عبارة عن مناجاة بينها وبين الله الذى لا ينكشف للانسان الا في اعماقه الذاتية، وبعبارة اخرى بان الله ليس فكرة نتأملها او موضوعاً نثبت وجوده، بل هو ذات لا متناهية، تنكشف لي في صميم ذاتيتي المتناهية.

والقلق الذي يتحدث عنه كير كجارد، ينحصر في تلك العلاقة التي تقوم في داخلي بين المتناهي واللامتناهي، بين الانسان والابدية، وهذا الصراع هو الذي يكون صميم وجودي وليس بمقدوري ان افصل شعوري بالقلق عن موقعي باعتباري كائناً متناهياً يجد نفسه ازاء لامتناه يعلو عليه ولكنه بدونه يتداعى ويسقط. وفي صميم هذا القلق كثيراً ما تخشى النفس ان تسقط ولكنها مع ذلك مدفوعة برغبة قوية نحو ما تخشاه. وهنا تجد النفس ذاتها بازاء الخطيئة التي هي اغراء وغواية، ولكن الخطيئة هي اقوى تعبير عن الوجود وشعورنا بالخطيئة ليس شيئاً آخر سوى شعورنا العميق بوجودنا. وحين يقول كير كجارد ان الوجود هو الشعور بالخطيئة، فانه يعني ان الذات تؤكد نفسها في الخطيئة باعتبارها موجودا مستقلا عن الله، ولكنها مع ذلك تشعر بأنها على صلة بالله بمقتضى ذلك الفعل نفسه الذي انفصلت به عن الله. وحين يستولي الشعور بالخطيئة عن النفس الاثمة المنسحقة امام الله، فلا بد من ان تجد نفسها بازاء الله وجهاً لوجه

وبهذا المعنى يمكننا ان نقول ان الوجود في اعلى درجاته ألم وعذاب ، او هو على وجه التحديد عذاب ديني ، لان الخطيئة هي التي تقودنا الى اعتاب الوجود الديني الصحيح ، والرجل الخاطيء لابد من ان يجد نفسه وحيداً امام الله . وهكذا فالخطيئة حقيقة كبرى في فكر كير كجارد وهي مصدر كل شعور بالادانة ، الانسان مدان ، وما البراءة التي سيتحدث عنها كامو فيما بعد ، الا تلك الحالة التي يواجه فيها الانسان شرط ادانته . وعلى كل ففكرة الادانة سوف تصبح بذرة لموضوعة العبثية الملحدة اعتباراً من هيدرج الى سارتر فكامو . اذ سوف تعتبر هذه الفلسفات ان الخطيئة ليست الا وعي الانسان بأنه موجود مقطوع عن اي تبرير علوي ..

هذا هو الخطر العام للفكر الكيركجاردي ، فكر نبع مباشرة من المعاناة الذاتية ، من حياة مليئة مضطربة ، بدأت بمأساة ، عندما ولد كير كجارد ، ضعيف البنية الى حد كبير ، اعرج ، لا يملك من سمات الجمال شيئاً . ورث عن والده كل صفاته ، من كآبة وانطواء وشعور بالذنب والخطيئة لقد صعد الوالد يوماً الى رأس جبل وصاح في وجه الإله معلناً الحاده وكفره احتجاجاً على فقره وجوعه . كان صغيرا وكان وحيدا . وعندما كبر وابتسمت له الحياة وتحسنت احواله المعاشية لم ينس خطيئته ، ولم تنسه رفاهية العيش اثمه القديم . فظل طوال حياته مذعوراً مسحوقاً بظله . وقد انتقل احساسه ذاك الى ابنه ، فكانت فكرة الخطيئة التى شكلت عماد فلسفته .

عاش كير كجارد حياته يفكر ويتأمل وينتج ، ولم يصادق احدا ولم يمارس عملا يلهيه ، بل أقبل محموماً على نتاج فكري موضوعه سورين كير كجارد نفسه . وهكذا وجد في سحر الكتابة ما يعينه على تحمل الحياة كما وجد في عبقريته ما يبرر هجوم الناس عليه وسخريتهم منه ومن عاهته ، واستمر على هذا المنوال مرهقاً نفسه وعقله ، حتى اصابه الضعف والمرض فتوفي في عام ١٨٥٥ عن عمر يناهز الاربعين تاركاً تراثاً ضخماً ، شق الطريق لظهور اذيع الفلسفات صيتاً في العصر الحديث ، الفلسفة الوجودية .

بقلم : فراس سواح

ياحبيبي

شعر : فريد أنطونيوس

ياحبيبي آه من وجـــدي ومن شوقي المذيب !
فرشت عينـــاك بالشوك وبالبـــؤس دروبي
وروت بالشك أيامي وبالآهـــات كوبي
والأسى يقتات من روحي ومن قلبي الكئيب
ظمئت نفسي الى دنيـــاك ، للثغر الحبيب
ما الذي أيقـــظ في صدري شجوني وحنيني
ذكريات الأمس كالاعصار تجتـــاح ظنوني

★ ★ ★

يا حبيبي هـــاج بي الشوق الى الصدر الرحيم
اذكر الماضي وما أبقـــاه من حـــب مقيم
يوم كنـــا نزرع الوجـــد بأهداب النجوم
يوم كان الوعـــد في عينيك يغري بالنعيم
فأرى فيـــه هنائي وأرى فيـــه جحيمي
أي حب مثـــل حبي كان ناراً وضـــراما
أي قلب مثـــل قلبي كان للنـــار طعاما

★ ★ ★

يا حبيبي عبقت في الروض أنفـــاس الورود
وتلاشت وشوشات الليـــل للفجر الوليـــد
كل ما في الكون أعياد ولكن اين عيدي ؟
فأنا وحـــدي متروك على الشط البعيد
حطم النوء شراعي وطـــوى اليم نشيدي
عـــد حبيبي ترجـــع الفرحة والقلب يغني
قد كفـــاني البعد آلاماً ويكفيك التجني

فريد انطونيوس

عالم ...

دون كاميلو

الصغير

تعريب : الدكتور خليل الخانجي

مقدمة :

انتشرت الشيوعية في ايطاليا عقب انتهاء الحرب الكونية الثانية ، وكان ذلك طبيعياً جداً لاشتراك الشيوعيين مع الحلفاء في هزيمة المحور . واطلقت الحكومة المؤقتة الخليفة للأحزاب حريتها المطلقه بعد خلع الملكية وهزيمة الفاشية فوجدت الطبقة الكادحة من الشعب في الشيوعية منفساً لرغباتها ومنقذاً لظلامتها من طغيان الرأسمالية المحلية والاجنبية قد خلت في منظماتها طوعاً افواجاً افواجاً واذداد عدد نواب الحزب الشيوعي في ايطاليا فطغى على الكثير من الاحزاب اليمينية .

وفي ايطاليا موطن الفاتيكان ومركز الرئيس الروحي للكنيسة الكاثوليكية في العالم ، اشتدت الخصومة بين الحزب المسيحي والحزب الشيوعي واحتدم النزاع بين نواب الطرفين فكانت ايطاليا من طرف والعالم من طرف آخر يشهدان فصلاً طريفاً لخصومة حزبيه ديمقراطية حقة يتخلله الكثير من جولات الملاكمة ونتف الشعر وضرب الكراسي ، الى جانب الفضائح والارقام في صحف الحزبيين .

وفي هذا الجو بدرت للصحفي الايطالي (جوفاني كواريشي) فكرة سرد هذه الحرب المستمرة بين النزعتين بكتاب قصصي يحكي فيه روائع ونوادر حرب لاهوادة فيها تجري وقائعها بين كاهن القرية (دون كاميلو) ممثل اليمين المسيحي ، وبين (ببون) مختار المقاطعة ، ممثل اليسار الشيوعي . والكتاب قصة طويلة ذات فصول مستقلة ، استهدف فيها الحياد والنكتة اللاذعة والخصومة الشريفة التي تنتهي دوماً بعقد راية الصلح بين الطرفين والعوده الى الضمير والوجدان الانساني .

يشير (كواريشي) بحذق ومهارة فائقين واسلوب طريف فريد الى محافظة كل من ببون ودون كاميلو على حياة ومصالح الخصم في مواقف الشدة والجد لانقاذ عدوه دون دراية ومعرفة الآخرين .

انتشر الكتاب في ايطاليا انتشار نبأ الحرب خلال الازمات العالمية وذاع صيت المؤلف وتدفقت الاموال مدرارة لجيوب الصحفي الفارغة واصبح بين عشية وضحاها الكاتب المرموق في العالم والصحفي الفني الذي لايخشى عادية الفقر .

طبع الكتاب الاول « عالم دون كاميلو الصغير » في ايطاليا اكثر من عشر مرات وترجم الى كل اللغات ، ومثل في السينما بالاشتراك مع كبار الممثلين الافرنسيين والايطاليين وظل الفلم امداً طويلاً يعرض في دور السينما في روما وباريس معاً ، ومثل دور دون كاميلو الممثل الافرنسي الهزلي الشهير (فرنانديل) فبلغ فيه ذروة الآداء والابداع .

الحت دور النشر في العالم على الصحفي الغني (كواريشي) بكتابة سلسلة من هذه الطرائف ، فعمد لالحاق كتابه الاول بكتاب ثان دعاه « دون كاميلو ورعيته » وثالث وهو « دون كاميلو وببون » وصدر اخيراً كتابه الرابع « دون كاميلو في موسكو » ، وتكاد الكتب الاربعة تكون مستقلة وكذلك فصولها ، التي يمثل كل منها قصة قصيرة ممتعة تتناول نشر أفكار كل منهما والدفاع عنها ، والسخرية من نظرية الخصم وتجريحها لتبدو أمام جمهورهما بالشكل الذي اراداه لها ، نابية سخيفة .

الكنز

قدم يوماً الى الدير رجل كان يعمل في جيش المقاومة يدعى (سميلزو) ويعمل كمراسل المهمات مع بيون عندما كان الأخير في جيش المقاومة ويشغل الآن وظيفة آذن في البلدية . كان يحمل رسالة انيقة، طبعت بكتابة يدوية وبخط جميل ، يبدو في أعلاها اسم الحزب .

« يرجى منكم أن تشرفوا بحضوركم الحفل ذا الطابع الاجتماعي والذي سيعقد غداً صباحاً في الساعة العاشرة في ساحة الحرية . امين سر الفرع ، الرفيق بوتازي ، مختار »
احدق دون دون كاميلو جيداً في وجه (سميلزو) وقال :

– اذهب وقل للرفيق بيون ، المختار بوتازي ان ليس لي أقل رغبة لسماع مقطوعاتهم المعتادة عن الثورة والرأسمالية ، انني احفظها غيباً .

– وانما لن يكون هناك خطب سياسية ، اجاب سميلزو باسماً ، فالأمر يتعلق فقط بالوطنية والاعمال الاجتماعية ، فاذا قلت لا ، فانك لاتفهم شيئاً عن الديمقراطية .

رفع دون كاميلزو رأسه بجد وقال :

– اذا كان الأمر كذلك ، سأذهب .

– طيب ، ويقول الرئيس يجب أن تحضر ببزتك الرسمية ومعك الادوات .

– الادوات ؟

– نعم ، السطل وفرشاة طويلة فهنالك ما لا اعلمه مما يستمطر بركتك .

– كان سميلزو يتكلم على هذا النحو لأنه سميلزو اي احد اولئك الشباب الطوال ، مرناً كالخيزران ، وكان أيام المقاومة يستطيع التسلل بين رصاصتين دون ان يخدش . وهكذا عندما قذفه دون كاميلزو بكتاب ضخم على موضع رأسه ، اختفى سميلزو ولم يجد رأسه ، لأنه كان يطوي الارض بعزم على دراجته .

التقط دون كاميلو الكتاب وذهب يهدىء غضبه تحت أقدام المسيح .

– يايسوع ألا من سبيل لمعرفة ماذا يأمر هؤلاء الناس للغد ؟ لم أر قط مثل هذه الاسرار ، فما تعني كل هذه الاستعدادات ؟ هذه الاغصان المنتصبة حول السهل ، بين الصيدلية ودار (باكتي) ؟ أي اعمال شيطانية هناك ؟

– ياولدي ، لو كانت اعمالهم شيطانية لما قاموا بها جهراً ثم ما كانوا ليدعونك تباركها ، فاصبر حتى الغد .

ذهب دون كاميلو مساء ليلقي نظرة ، فلم يجد سوى الاغصان الخضراء والزهور حول السهل ، دون ان يدري احد شيئاً . وعندما أخذ سبيله عائداً صبيحة اليوم التالي ، مصحوباً بولدين يساعداه في القداس، كانت ساقاه ترتجفان، وكان يحس ان في الجو خيانة . ولما عاد بعد ساعة ، كان مريضاً مخزولاً .

ـ ماذا جرى ؟ سأل المسيح .

ـ أمر يقف له شعر الرأس ، اجـــاب دون كاميلو ، أمر بشع ، اوركسترا ، لحن وطني لغـاريبالدي ، خطاب من بيون ووضع حجر الاساس لـ « منزل الشعب » وانا ، نعم أنا باركت هذا الحجر الأول . وكان بيون يشع سروراً ، وطلب الي هـذا الابله أن اقول كلمة جرت بي ايضاً لالقاء خطاب قصير. فهي في الواقع قضية حزبية وانما قلبها بيون اللعين الى عمل يتصف بالنفع العام .

كان دون كاميلو يروح ويجيء في الكنيسة القفراء ، ثم انفجر فجأة من جديد :

ـ باللسخرية ، صالة للقراءة ، مكتبة ، قاعة الرياضة مستوصف ومسرح ، انهـا ناطحة سحاب مؤلفة من طابقين وإلى جانبها ساحة للرياضة ولعبة الكرة الحديدية . والـكل بمبلغ حقير قدره عشرة ملايين .

ـ ليس الثمن غالياً اذا اخذت الاسعار الحالية بعين الاعتبار لفت المسيح نظره .

تهالك دون كاميلو على مقعد وقال :

ـ ايها المسيح ، لم عملت معي هذه الامور ؟

ـ دون كاميلو ، انك تهذي .

ـ كلا ، انني لا أهذي ، وها أنا منذ عشر سنوات ارجوك راكعاً ان تجد لي المال لأنشيء مكتبة ، وقاعة استراحة للشباب ، وملعباً للاطفال مع دوامـة وأراجيح واذا امكن ايضاً مسبحاً صغيراً جميلا مثل الذي في كاستلينوء

وهـا عشر سنوات مضت وأنا اتودد لهؤلاء الخنازير الملاكين وبودي لو اقتلهم كلما رأيتهم . لقـد اعددت مئتي (يانصيب) ، وقرعت الفي باب ، والنتيجة ؟ لاشيء .

ولكن هذا المحروم من القربان ، اللص الكبير جاء وسقطت عليه عشرة ملايين من السماء .

هز المسيح برأسه نفياً وقال :

ـ لم تسقط عليه من السماء ، انه وجدها في بطن الارض ، فأنا لأستطيع دفعاً لذلك ، فهي ثمرة جهوده الشخصية

ـ والخلاصة انني انسان مغلوب على امره .

ذهب دون كاميلو الى داره ، يطفيء غليله في غرفته . كان يفترض نظرية : ان بيون يهاجم المـارة في الشارع او يسطو على صندوق احد المصارف .

ومن الاجدى ان يعود بذاكراته الى الايام الاولى للتحرير . كان بيون قد عاد مجدداً من المقاومة ويبدو ان ثورة الطبقة العاملة اندلعت فجأة فأفاد من موجة الهلع التي انتابت هؤلاء الاغنياء الجبناء فاستنفذ أموالهم .

ـ ولكن لا ، ما كان في القرابة واحد من هؤلاء الاغنياء ، بل كانت هنالك فرقة انكليزية نزلت من مخابئها مع رجال بيون وسكنت في دور المعلمين بدلاً عن الالمان الذين اتسع وقتهم لافراغ الاغراض الثمينة والفرار بها . فلا يمكن اذاً ان نفترض ان العشرة ملايين كانت ثروة السطو .

يحتمل ان جاء المال من روسيا ؟ كلا ، هـذا هراء ، وكأن وقت الروس يتسع ليفكروا في بيون .

ضاق دون كاميلو ذرعاً ، فعاد الى الكنيسة واسترحم مسيح الهيكل :

ـ ايها المسيح ، ألا تستطيع ان تخبرني ، اين وجـد بيون المال ؟

- دون كاميلو ، أتحسبني شرطياً سرياً ؟ ولم تسألني الجواب بينما يكفيك للحصول عليـه ان تفتش عنه بوسائلك الخاصة ؟ فتش يادون كاميلو ، ولماذا لا تذهب الى المدينة في جولة ترويحاً عن النفس ؟

قام دون كاميلو بهذه الجولة ، ولما عـاد ، مثل امام المسيح في هياج بالغ .

- ماذا جرى لك يادون كاميلو ؟

- قصة جنونية ، تعلثم دون كاميلو واحتبست انفاسه : لقد قابلت ميتاً في الشارع ، ووجهاً لوجه .

- هدىء روعك يادون كاميلو وحكم عقلك قليلا ، فالاموات الذين يصادفهم المرء وجهاً لوجه هم عادة احياء تماماً .

- لاجدل في ذلك صاح دون كاميلو ، ولكن هـذا ميت فعلا ، والسبب الاكيد اني وضعته بنفسي في جـوف الارض .

- اذا صدق ماتدعيه فاني لن اتكلم ابداً ، ويكون عائداً الى الحياة فعلا !

رفع دون كاميلو كتفيه وقال :

- كلا ، ان الاشباح لاتوجـد الا في مخيلة المعتوهات من النساء .

- واذن ؟

- اليك ماعندي . ثم جمع دون كاميلو افكاره وقـال : الميت هو شاب ناحل ضبط من معاقل المقاومة مع رجال ببون ، ولم يكن من المنطقة ، وقـد اصيب بجراح في رأسه ولما ساءت حاله وضع في دار (درويش) التي كانت سابقـاً مكتب اركان حرب الالمان ثم اصبحت مكتباً للانكليز . وفي الغرفة المجاوره ، اتخذ ببون مكتبه .

تذكر دون كاميلو جيداً ، كانت الدار محاطة بثلاث دائرات من الحرس الانكليزي ، وما كان يدخل او يخرج هو منها لأن الحرب مازالت قائمة في الضواحي ، والانكليز يحافظون بصورة خاصة على جلودهم . أحضر الشاب صباحاً وفي المساء كان ميتاً ، فأرسل ببون خلف دون كاميلو في منتصف الليل وكانت الجثة باردة . كان الانكليز يعافون رؤية الميت في دارهم ، وقرب الظهر كان التابوت وفيه الولد المسكين خارجاً من الدار ، ويحمله ببون وثلاثة من رفاقه المخلصين . وقامت ثلة من الجيش الانكليزي بأداء تحيـــة الشرف معبرة عن محبة صادقة .

يذكر دون كاميلو ان المشهد كان بالغ التأثير ، فالقرية بتمامها تبعت النعش الذي وضع على مؤخرة المدفع .

وخطبة التأبين في المقبرة ، كان هو دون كاميلو الذي القاها ، تماماً هو ، وكان الناس يبكون حزناً .

ببون نفسه كان ينتحب في الصف الاول . « عنـدما اعمل فكري فانني أجيد الكلام » ، تاه دون كاميلو عجباً عندما استعاد ذكريات هذه الفترة وخطاب التأبين . « وهو عينه ، نفس الرجل الصغير الذي صادفته في الطريق هـذا النهار ، واني على استعداد لأن اقسم » . تنهد ثم قال : هذه هي الحياة .

ذهب دون كاميلو في اليوم التالي ليرى ببون في مرآبة ، فوجده غارقاً في عمله تحت احدى السيارات .

- صباح الخير أيها الرفيق ، المختار ، جئت لأتحدث اليـك قليلا عن مشروع الدار .

- مارأيك إذن في ذلك ؟ قال ببون :

- رائع ، وعلى أثره قررت أن اباشر في بناء الدار الصغيرة مع حوض سباحة ، حديقة ، ساحة العاب ، مسرح ، الخ .

والذي سبق أن فكرت فيه منذ زمن طويل كما تعلم . وأضع الحجر الاساسي يوم الاحد ، ويسرني جـداً أن تحضر الحفلة .

ـ بكل طيبة خاطر ، الأدب يقابل بالأدب .

خرج بيون من تحت السيارة ومسح وجهه بكم بذلته الزرقاء .

ـ حسناً ، والآن حاول ان تصغر قليلا مشروع منزلك فهو كبير جداً حسب ذوقي .

نظر بيون اليه دهشاً وقال :

ـ أتشكو ألماً يادون كاميلو ؟

ـ لاأشكو أكثر من ذلك الميت الذي القيت فيـه المرثية أمام نعش ماكان جيد الاحكام ، لأنني مررت بالجثة وهي تتنزه في المدينة .

أصر بيون على اسنانه وقال :

ـ ماذا تعني نقولك ؟

ـ لاشيء ، سوى ان التابوت الذي قدم له الانكليز تحية السلاح والذي باركته أنا كان مليئاً بما وجدتموه في ترك قصر (دوتي) ، والميت كان حياً وقابعاً في السقيفة .

ـ آه ، صرخ بيون : دوماً نفس الحكاية ، فإنك تحـاول اهانة حركة المقاومة .

ـ اترك جانباً حركة المقاومة ، فانك لاتخيفني .

عاد دون كاميلو ادراجه وترك بيون يحيك تهديـداً خفيـاً .

في نفس المساء رأى دون كاميلو بيون يصـل الى الابرشية مصحوباً بـ (بروسكو) واثنين من الاقوياء ، وكان هؤلاء هم الذين ساعدوا فى حمل التابوت .

ـ قـال بيون : ليس لك ان تغمز في ضميرنا ، فكل شيء سرق من الالمان ، فضيات ، اوائل تصوير ، ذهب الخ .. فلو لم تأخذه ، لأخذه الانكليز ، وكانت تلك هي الواسطة الوحيدة لاخراج البضاعة .

عندي هنا ايصالات ومصدقات ، لم يمس احد منا (ليراً) واحداً ، لقد استعدنا عشرة ملايين ، عشرة ملايين ستنفق من أجل الشعب .

غلت الدماء في عروق (بروسكو) فشرع يصرخ ان هذه هي الحقيقة الصادقة واذا شك احد في الأمر فانه يعرف كيف نتصرف معه .

ـ أنا ايضاً ، اجاب دون كاميلو بهدوء وترك الصحيفة تقع على الأرض بما سنح للزائرين ان يروا تحت ذراعه الرشيش الذي كان يخص بيون سابقاً .

اصفر وجـه (بروسكو) وقفز الى الوراء . وفتح بيون ذراعيه .

ـ دون كاميلو ، يبدو لي ألا مجال للنزاع .

ـ هذا هو رأي ايضاً ، اجاب دون كاميلو ، وانني على وفاق تام معك : عشرة ملايين استعيـــدت ، عشرة ملايين للشعب ، سبعة منها لدار الشعب وثلاثة منها لمراكز حدائق اطفال الشعب فأنا لاأطالب الا بما يخصني .

تشاور الشجعان الاربعة بصوت خفيض ، ثم بدأ بيون الكلام :

ـ لو لم تكن معك هـذه الآلة اللعينه لقلت لك ان هـذه احقر صفقة يقترحها انسان .

كان المختار بيون يوم الاحد حاضراً ومعه جميـع رجال الحكومة يشهدون وضع الحجر الأساسي لـ « مركز

حدائق » دون كاميلو. وألقى مع ذلك خطاباً ، وانتهز على ثره الفرصة فهمس في اذن دون كاميلو هذا القول :

ـ هذا الحجر ، كان من الأجدى ان يعلق في عنقك ويقذف بك في نهر الـ « بو » .

قدم دون كاميلو تقريره مساء الى مسيح الهيكل :

ـ ماقولك في هذا ؟ سأله أخيراً .

ـ كما قال بيون ، لو لم تكن تلك الآلة اللاعينة تحت ذراعك ، لقلت لك ان هذه احقر صفقة في العالم .

ـ احتج دون كاميلو قائلا : ولكن ليس بين يدي سوى صك بيون .

ـ صحيح ، بهذه الملايين الثلاثة ستقوم بكثير من المبرات والاعمال الصالحة لتجعلني ابغضك .

ذهب دون كاميلو لينام ورأى في نومه حديقة مليئة بالأطفال ، وحديقة خيول خشبية وأراجيح ، وفوق الارجوحة اصغر اولاد بيون : ليبرو كاميلو لينين وهو يغرد كالعصفور .

مسك الحبيب

كأن فتيت المسك خالط نشرها
تغل بـه اردانهـا والمرافق
تقوم اذا قامت به ، من فراشهـا
ويغدو به من حضنهـا من تعانق

جميل بثينه

★★★

يقولون

يقولون : مسحور يجن بذكرها
وأقسم مـا بي من جنون ولا سحر
مضى لي زمان ٠ لو أخير بينـه
وبين حيـاتي خـالداً آخر الدهر
لقلت : ذروني سـاعة وبثينـة
على غفـلة الواشين ، ثم اقطعوا عمري
إذا ما نظمت الشعر في غير ذكرها
أبى ، وأبيهـا ان يطاوعني شعري

جميل بثينه

العود

مازلت ارمقهـا بعيـني رامق
حتى بصرت بهـا تقبل عودا
فسألت ربي ان اكون مكانه
واكون في لهب الجحيم وقودا..

الوليد بن يزيد

★★★

ماضر ؟

لو تبـذلين لنـا دلالك مرة
لم نبغ منك سوى دلالك محرماً
منع الزيارة ان اهلك كلهم
ابـدوا لزورك غلظة وتجهماً
ماضر اهلك لو تطوف عاشق ..
بفنـاء بيتك ، او ألم فسلما

اسماعيل بن يسار النسائي

★ ★ ★

الخيمة الباكية

بقلم : الدكتور بديع حقي

وأبكي أنا ،
ويخفق قلبي لطيف دنا ،
الي هفا وانحنى ،
ليمسح جرحي المدمى بنور غريب ،
بنور ترقرقه شمعة مدنفة ،
وتهصره بسمة مرة من شفه ،
فيحبو وينآد ، ينهد ، يغرز سهماً ويستل سهما ،
ويرسم من نقلة النار في كهف صدري وهما .
وتهدر ، في الليل ، ريح غضوب ،
تعذب شمعة صدري القصيف ،
وتمضغ اشلاء ظل ضعيف .
وابكي انا ،
لوجه حزين الي رنا ،
ويمتد خيط بابرة .
ويرفو جراحي بانفاس جمره ،
ولكن تجاذب جلدي ،
وتسفع خدي ،
عواصف تلعب في المنحنى ،
فيرفض جرح ، بصدري ، رغيب ،
ندي طري خضيب ،
وانحب وحدي ،
واندب حلو المنى ،
وابكي .
هناك ، بعيداً بعيداً ،
بناء منير ممرد ،
يتيه ، هنيئاً سعيداً ،
والمح خلف السجوف طيوفاً تأود ،
وشعراً غنوجاً تمرد ،
تغنت اصابع فوق مداه المبدد
وصفق نور وعربد ،
وزمجر ليل ، على ملعب الخد ، اسود ،
والمح غصناً يميس بزهره ،
وكأساً تطوف بجمره ،
وتكسب فوق الستائر ظلا ، وتسفح فكره ،

واسمع لحناً شروداً ، طروباً رغيدا ،
ولكن ، بقلبي ، هنا ،
بـكاء وجوع وموت المنى ،
وأسمع همساً بقلبي يقول :
- لقد اصبحت خيمة باليه ،
مهلهلة واهيه ،
ويهرؤني البرد — اماه — إني أموت ،
وأحنو عليه بظل نحيل ، لئلا يموت ،
والهث ملء إهابي ،
على رعشة من عذاب ،
ليبقى ، واشقى انا ،
وابـكي انا ، وتبـكي السماء لنا ،
وينسرب الماء ، قطره
فقطره ،
وانصت للأم تدعو بحسره ،
واسمع صوتا غريقا بعبره ،
وركزاً يغمغم ، في سعلة داميه ،
يقول : لقد اصبحت خيمة باكيه ،
ممزقة فانيه ،
ويغمرني الماء — اماه — إني اموت ،
ويجهش في زفرة عاتيه ،
وحشرجة قاسيه .
تراه يموت ؟
ترى اي ذنب جنى ؟
ولكن يموت .
وينغر جرحي ، وينهد صرحي ،
وتهوي حبالي ، ويذوي خيالي
وأطوى انا ، فأندب طيب المنى ،
لكل الدنى ، اموت انا .

بديع حقي



الديمومة في فلسفة برجسون

بقلم : ندوه اليازجي

لا نستطيع ان نفصل حدس برجسون عن ديمومته ويعتبر بحثه في « حدس الديمومه » محور فلسفته . والديمومة « عند برجسون » هي المطلق او الزمان الحقيقي ، والذات التي تحيا في هذا الزمان ، هي اول مايكشف حدس الديمومة وعلى هـذا الأساس ينطلق « حدس الديمومة » في الأنا فالجسم ، فالحيـاة ، فالمادة ، فالكون الى الحب الالهي ، وتذكرنا نظرية برجسون هذه بفلسفة افلوطين .

وتعتمد الذات او الأنا ، حـال ادراك الديمومة ، على المعطيات التى هي ، في نظر برجسون ، مبـادىء اولية . وتجتزىء الذات ، بالملاحظة ، ما هو ماثل امامهـا بواسطة الشعور . فالمعطيات اذن هي معطيات الشعور ، وهي مباشرة اي ان الحدس يدركهـا ادراكاً عيانياً . فالشعور هو الملكة التي تدرك في صميم ذاتهـا « ذاتية » الواقع نفسه . والمباشر – اذ ان كل فلسفة مهـما كان نوعها تعتمد على معطيات – هو الذات لأن قيمته كامنة فيـه . . الذات التي تنكشف لنفسها دون واسطة .

وبما ان معرفة الذات اصعب بكثير من معرفة العالم الخارجي ، اذن لابد لنا من « جهد حدسي » لادراكها وتعود صعوبة معرفة الذات لانصرافنـا الى العالم الخارجي الذي يتصف بالامتداد والكثرة العددية . اما الذات ، اي حياتنا النفسية ، فهي تغير كيفي محض ، وديمومة مستمرة لا تعرف التجانس ، وظواهر متداخلة ، لاتقبل الانقسام وحرية خالقة لا تكف عن التجدد . فالذات ليست حقيقة مكانية تقبل القياس .

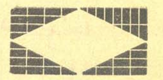
ونحن نعتمـد على الحدس لكشف الذات . فالفرق بين الذات والعالم الخارجي هو فرق بين الكم والكيف . فالشعور لايخضع للتقدير الكمي ، بالرغم اننا نعتمد خطـأ على القياس الكمي في الكيف . فلا نستطيع قياس « شدة » حالة شعورية ولواننا اعتبرنا أنها تطابق مقدار العلل الخارجية التي تعمل على احداثهـا ، كالجسم مثلاً يشترك كله في عملية معقدة وينتج بالتالي احساساً . اما قياس هـذا الاحساس فانه ينشأ عن وهم مؤداه اننـا نضع شيئاً من كم العلة في كيف المعلول . وعند ئذ ندخل المكان في الزمان . وان ايجاد العلاقة بين المـكان والزمان يجعلنا نقع في فوضى عقلية ، تعتمد على مبدأ الارتباطية التي تحيا على سطح الذات دون ان تنفذ الى باطنها . والفكرة الارتباطية توجد علاقة قياس بين الكم والكم اعتقاداً منها ان الزمان هو كم متصل ولكن الديمومة ، حسب تفكير برجسون ، لا تعرف الكثرة العددية بالرغم انها تستلزم كثرة اخرى قوامهـا التداخل والاختلاف الكيفي واستحالة القياس ، وخطأناهو اننالا نتفهم جيداً فكرة « الكثرة الأخرى » فنفكر في الاضافة فقط . والاضافة تؤدي الى النظرية الارتباطية .

ولكي يوضح برجسون رأيه في الزمان الذي يعني الديمومة ، فانه يقسمه الى قسمين : الزمان الآلي المتجانس . والزمان الحقيقي . ونحن نخلط بينهما لأننا نفهم فكرة المكان و الامتداد في صميم فكرة الزمان . اما الزمان فلا يقبل القسمة كالمكان ، فهو كالذات بينما المكان كالعالم الخارجي . فالزمان الحي هو الذي تشعره الذات حينما تنعطف على حياتها الباطنة لكي تشاهد تعاقب احساساتها وذكرياتها ولذاتها وآلامها واحكامها ورغباتها . . ولاشك ان زماناً كهذا تشعره الذات هو شعور .

ويعتبر برجسون فكرة الزمان المكاني ، اي اقحام المكان في الزمان ، خطأ بين فكرة زمان يقبل القياس باعتباره مكاناً متصفاً بالتجانس ، وفكرة ، ديمومة مستمرة تتصف بالتتالي او التعاقب . وهنا يتكلم برجسون عن الحركة وهي مبدأ الآليين ، التي تحملنا على ان نتصور الديمومة على غرار المكان لأننا نقحم فكرة المكان في الشعور المحض . ويستعين برجسون هنا بعبارة كتبها هـ . جـ . ويلز : «لافارق بين الزمان والمكان الا ان شعورنا هو الذي يتحرك عبر الزمان» . فالزمان الحقيقي ، كما يستنتج برجسون ينكشف لنا من خلال الديمومة المحضة التي يتخذها تتابع حالاتنا الشعورية . وفي هذه الديمومة المحضة لا نتحدث عن حالات او لحظات لأن الديمومة لا تكف عن السيلان . ولذلك فالحياة النفسية تيار غير منقطع من التغيرات التي لا تقبل التجزئة ، وهي سيال متدفق من الحركات التي لا تقبل القسمة وعلى هذا الأساس لا يمر الشعور الانساني في حالة واحدة مرتين بالرغم عن تشابه الحالات الخارجية ، وذلك بسبب تيار نفسنا المتدفق والمتضمن لحالات مختلفة . فنحن اذن نتحرك وفقاً لايقاع حالاتنا الباطنة وحركاتنا الداخلية بما يقوم عليه زماننا النفسي . فالفكرة تمثل حركة باطنة غير منقسمة ولا سبيل لردها الى مجموعة ابسط من الافكار الصغيرة المتمايزة .

ان حدس الديمومة عند برجسون يقود الى التطور الخلاق ، هذا التطور الدائم والمستمر الذي يعبر عن حركة ذاتنا خلال المطلق .

ندره اليازجي



اجمل ما قرأت

اخي .. اعذب لحن واروع اغنية ..

اخي .. ماأجملها من ترنيمة قدسية ..

اخي .. ماأكبره من حب يملأ دنياي عزة وفخاراً ..

اخي .. ماأروعها من هدية من امي وأبوي ..

اخي الحبيب لن يجرؤ انسان على اهانتي وأنت معي تحميني وتردعني الأذى .

اخي الحبيب كنز كرامة وحنان ..

اخي الحبيب .. انك بعيد بعيد .. بعدك ايها الغالي ، وحرماني منك فوق قدرتي على الاحتمال. بعدك احالني كتلة حرمان وضياع ..

انك بعيد وأنا هنا وحيدة .. اخاف كل شيء وابتعد عن الجميع ، اخاف نظراتهم تلسع ظهري وتسد علي دربي ..

مررت اليوم ايها الحبيب امام (الوادي الاخضر) مكاننا الاثير حيث كنت تحملني مع امي وتعنى بنا وبأخوة لنا ، فناداني ذلك المقهى الجميل وحدق بي مستغرباً كيف اتخطاه، تلفتت فلم اجدك ،فتدحرجت لآلي كبيرة على وجهي وتمتمت لا استطيع السهر فاخي ليس هنا يسهر معي ويعود بي الى البيت .

الليالي المقمرة والسهرات الصيفية والاماكن الحلوة كلها تناديني وتدعوني وتجفل لما تجدني وحيدة وانت بعيد .

مابي الغربة تطبق على روحي والبعد يحفر اغواراً سحيقة في كياني . بعد اخوتي عني غربة .. غربة الانسان تنبع من وجدانه من ذاته .. غريبة في بلدتي ، غريبة في مدينتي .. دمشقي الحبيبة ، دمشقي المدللة . . دمشقي التي يعبق بحبها قلبي ومع ذلك اعجز عن دخول مقهى فيها والتنزه بدروبها وتأمل قمرها والتوغل بسهلها والتمتع بليلها والسير مع نهرها العاشق وأشجارها الشامخة . . لماذا . . ؟ فاخي ورفيقي بعيد بعيد .. لماذا أنت بعيد ايها الأخ .. لماذا .. ؟ لماذا اختارك البعد دون غيرك ، غير عابىء بى وبحبي وحب اخوتي .. اخي كنزي الرائع ارى فيك حنان الدنيا ...

اجمل الرسائل تأتيني منك وافضل ساعاتي قضيتها قربك .. غرفتنا الكبيرة ، متاعنا القديم ، شقاؤنا الواعي ، حرماننا العجيب سنوات وسنوات من الحب والحنان والشقاء والعذاب والنضال المرير والتفتح المدهش وتمردنا الكبير ، وثورتنا الصامتة . .

امنا القديسة ، اخواتنا الرائعات ثقافتنا المتنوعة ، تحدينا الزمان وعثراته والمكان ووجوده ، تحدينا القدر وجبروته. كل هذا كان لنا يوماً وكنا نعيشه ساعة فساعة ..

ماأروعك من طفل عنيد يتحدى ، ومراهق موهوب يتوعد ، وشاب صامت يخطط ، نقاشنا الطويل وسهرنا مع سارتر وماركس والجاحظ وبشار وشوبان وبتهوفن وام كلثوم والمتنبي .. لهونا مع اغان خفيفة ورقصاتنا الصغيرة وترفنا الفكري والفني ، وبيتنا الغريب يقيم روائع تشايكوفسكي وفاغنر قرب السرير الحديدي القديم ومجموعة ارنست همنغوي ومورافيا هادئة مع الحكم والمعري ومتناثرة ملء البيت والجوكندا ترنو الى صورة شوقي القديمة وتبسم بيكاسو وغوغان .. وابريق القهوة المرة مع .. وسجادة صلاة امنا الرائعة مع اثوابنا العارية الصدر .. في خزانة واحدة .. بودلير يعانق نزار واحدث كتب الكيمياء في نقاش مع هيجل، وابن خلدون يتهامس مع لوكن ولسن وسيمون دي بوفوار تبحث في المكتبة عن رابعة العدوية والفيس برسلي يناجي عبد الوهاب ..

وحياتنا تكونت مع هذا الخليط العجيب وترعرنا على هذا الترف الفني والفكري المتحرر الذي خلقناه وبذلنا كل مانملك لرعايته . هذا بيتنا الذي درجنا بين احضانه .. واحببت ان تعيش معي ياقارىء الصديق لتعذرني على حب اخوتي وعبادتهم ، انهم يستحقون المحبة ..

تعال معي لنقرأ مقاطع من رسائل اخي التي تملأ علي البيت واتمنى لو استطيع جمعها يوماً وتعريف العالم بانسان كبير، انسان عرفته الانسانية بمعناها العميق وعمره سنوات لنستمع اليه يعتذر مني لتأخره بالكتابة ..

اختي المحبوبة ...

مرحباً ...

بقلم راجف اكتب إليك ... المر مخيف .. بلغ الذروة تقريباً ... الطريق يغلي ... والسماء تفور ... والوجود كله يتخبط في جحيم لاهب ويتقلب ... ومن خجلي ومن احتقاري لنفسي ... يقيناً من احتقاري لنفسي اعاني جحيماً اكثر قسوة وعنفاً ...

اختي ... قد يبدو الاعتذار تافهاً لانه يتضمن كلمات روتينية جافة لاتحمل حرارة الاحساس وصدقه .. وقد تعمل الظروف بقسوة فتحمل الانسان ما لاطاقة لديه من الخجل .. يقيناً يا اخت ... (سأستعير مجلة احدهم) اتمنى لو ان لي وجهين لابصق من احدهما على الاخر ...

وحقك يا اخت ... وشرفي ... وذاك التاريخ الطويل الذي ضمنا ... وحق تلك الساعات المقدسة التى قضيناها معاً ... وحق محبتنا اني لم اتغير ... ولا يمكن ان اتغير ... واسهل علي ان افقد عضواً من اعضائي عن البعد عنك ولو مسافة بسيطة جداً ... اختي ... اننا ملتصقان .. اتدركين معنى الالتصاق ... معنى العلاقة التي رعتها خمسة وعشرون عاماً ... وعاشت على دماء واحدة وحياة واحدة ...

اني لا ادري كيف اخاطبك ... هل اقول لك ان هذه هي المحاولة الرابعة للكتابة اليك ... وفي كل مرة كنت اتوقف .. انني خجل ... اني احس قطرات من العرق البارد تنساب في اعماقي ... ماذا اكتب لاختي ... ماذا اقول لها ... وكيف ابرر موقفي ...

اختي ...

اقبلي عذري كما عودتني ... حتى عندما يكون هذا العذر غير منطقي ... اختي ... اقبلي عناقي وقبلاتي ودعيني امسح شعرك عن وجهك ... واربت على كتفك بينما ذراعي تضمك بحنان ... اختى ... ابتسمي من خلال دموع (زعلك) من اخيك ... ابتسامة تعبر (كما اعتدت) عن الغفران ... والآن تعالي معي نجلس على طرف السرير سوية ... تعالي احدثك يا اخت ... ودعينا من الاعتذار فاني اشعر الجفاف في حلقي ... واحس اني لا املك اي تبرير لتقاعسي عن الكتابة اليك ...

اني مذنب ... ومذنب بجدة ... وبعمق ولكن نيتي طيبة ... وعاطفتي رائعة ... فهل تشفع لي . ارجو ان تشفع لي وان تكون محبتنا هي النبع الرائق يغسل كل ذنوبي ...

حدثتني يا اخت عن « الساعة الخامسة والعشرون ... » انا لم اقرأ هذا الكتاب ولكني ادركت شيئاً منه من حديثك اني اعيش هنا يا اخت حياة تختلف عن تلك الساعة الخامسة والعشرين ... الساعة التى لن تأتي ... اني اعيش حياة عبر عنها يوماً البير كامو ... اعيش ما بعد الموت ... واظنك تدركين معنى ان يحس الانسان انه مات ... وانه يعيش ما بعد الموت ... معنى ان يعيش الانسان على هامش الحياة والمدينة ...

اختي ... لن اشكو ... ولن اقلد صرصار ديستويفسكي اكثر مما فعلت في الماضي ... لا لن ائن ... لأني لا اريد ايلامك بأنيني ... فأنت اختي الحبيبة ... وحبيبتي الاخت ... ولكني سأحدثك ... سأحدثك عن حياتي واحاسيسي وانفعالاتي ... سأحدثك عن وجودي الضائع ... وعن الضياع الذي اعيش فيه ... عن هذه

المدينة الرهيبة تطحن البشر لتحيلهم الى كتلة لزجة لا لون لها ولا طعم ... عن هذا الدولاب الجبار الذي يسحق المعاني البشرية دون ان يقدم بديلا عنها سوى سراب اصفر ... سراب بلون الذهب وليس من الذهب ...

منذ اشهر ثلاث وانا أعيش تجربة جديدة كل الجدة على حياتي ... تجربة كوني رب عائلة ... زوج ... انها تجربة غريبة ... معقدة ... فيها الكثير من المفاجآت والمواقف التي افتقر الى التجربة عند مواجهتها ... احس حاجتي الملحة الى النصيحة ... الى الارشاد الذي اعتدت في السابق ... واقصد ايامي في الكويت ... اعتدت ان اواجه الحياة بلا مبالاة صلبة باردة كالرخام ... وكانت هذه اللامبالاة تنقذني من جميع المواقف المتعددة ... اذ كنت اكتفي بكوني منفعلا بالاحداث لا فاعلا فيها ... ومنذ حللت بالكويت شعرت اني انتهيت ... اني مت كانسان ... ان الاخ الذي تعرفينه ... الاخ الذى كنت تتوقعين له دوراً جباراً في الحياة ... الاخ الذي لم تترددي عندما كان في العاشرة من عمره ان تكتبي له اهداء على كتاب « الى اخي الذي سأعتز به يوماً ... ان هذا المخلوق الذى كان يجابه الحياة بثقة مطلقة ... ويفرض نفسه على الوجود ... الاخ الذي ينظر دائماً الى اعلى ... احسست ان هذا الانسان قد مات منذ ان حل بالكويت ... وان الصحراء برمالها وقحطها وجفافها قد امتدت الى اعمق اعماقه وطغت على جميع الفعاليات المرجودة لديه ... لذا كنت لا مبالياً ... لذا شعرت اني مت ... ولهذا السبب اقول لك اني احيا حياة ما بعد الموت ...

وتخيلت لفترة ان كل ما اعاني مرده الى حياة التشرد التي اعيش ... وظننت ان حرماني من المنزل والاحساس يكون الانسان يعيش في عائلته هو السبب لهذا الاحساس وهذا الضياع ... لذا تزوجت ... وكلي يقين ان الزواج سيعيدني كما كنت ... سيعيدني الى حيويتي واندفاعي ... الى ايماني وصلابتي ولم ادرك ان الصحراء التي امتلأت بها اعماقي اصبحت جزءاً مني ... وان الموت اذا كان يحدث بسرعة ... فان العبث يلزمه الكثير الكثير من الوقت .. والكثير الكثير من الجهد ...

وبدأت اواجه حياة جديدة ... ان اللا مبالاة هنا امر لا يجوز ... يجب ان احدد موقفي من كل شيء والا فقدت زمام المبادهة الى الابد ... يجب ان اكون رأياً في كل شيء ... وان اهتم بكل شيء ... علي ان اوقد النار في الجذوة الخابية ... وان اثير كل ما املك واستطيع من العواطف لاواجه بركاناً لافحاً من العواطف تغمرني به زوجتي ... علي ان أهتم بأن اؤمن الزاد العاطفي للانسانة التي اخذت تنظر الى الوجود من زاويتي ... ومن خلالي فقط ...

ان المشكلة قد ازدادت تعقيداً ... ولم تنحل اطلاقاً صحيح اني احس الراحة والالفة ... بل والسعادة عندما أكون في المنزل ... صحيح اني احس دفء العاطفة الصادقة تلفح جو البيت .. ولكن علي ان اهتم بانسانين ... انا الذي لم اكن لاهتم بنفسي ... علي ان اواجه كل ظرف بايجابية ... وتعقدت الظروف بشكل مخيف ... تعقدت بشكل كاد يفقدني نفسي ... تعقدت مادياً ومعنوياً ... وواجهت ازمة صعبة .. ولكن طبيعة هذه الازمة ... وطبيعة الوجود الجديد فرضت علي ان اجتازها ... واشعر الان اني قد اجتزت القسم الاكبر منها ...

وفي غمرة هـذا الصراع كنت اتلفت حولي .. لقد اعتدت ان استشير اختي دائما ... اعتدت ان الجأ اليها في كل ليـلة اعرض عليها مشاكلي واطلب الحل ... اني بحاجة الى ارشاد .. الى نصح .. الى نظرة عميقة مدركة .. ولكن ما العمل .. وانت بعيـدة .. والظروف اللعينة تـآمرت علي حتى اساءت الى مركزي لدى اختي الحبيبة .. والمشاكل تتطلب الحل السريع الآتي .. اني يجب ان ابت بالامور بسرعة .. ان ابت بأمور ليست لدي اي خـبرة فيها او تجربة ...

حبيبتي ...

عفوك ان اطلت . . او اكثرت الثرثرة . . ولكني والله لا ادري ماذا اكتب .. فما يزال تأثير لهيب الشمس ينغرس في مخي كأسياخ محماة .. رغم اني اجلس الان في مكان مبرد ..

اني احس اني اهذي .. ولكن لا بأس ... فهذه ليست المرة الاولى التي اهذي فيها امام اختي .. وهي ايضاً ليست المرة الاولى التي تتحمل فيها اختي هذياناتي ..

امس وصلتني رسالتك العاتبـة . . اقسم لك اني تمنيت لو ادفع نصف عمري مقابل ان استطيع الانفجار بالبـكاء احسست رغبة عنيفة بان اكون معك .. ان اطير اليك .. ان اضمك الى صدري وابـكي وابـكي – حتى تصفحي . . انى احس اني مجرم ومذنب .. احس اني ضربت رقمـاً قياسياً في الجحود .. اختي ... افهميني ارجوك .. افهمي طبيعة موقفي .. اني اتصرف كالاطفـال .. واحس ان عليك ان تفهمي مالا احسن الافصاع عنه ..

اختي ... صدقيني .. صدقيني بربك .. ان الحر الشديد يخلـق ظروفاً تختلف عن جميع الظروف الاخرى .. ان يقطع الانسان اربع رحلات كل منها ١٥ ميـلا كل يوم في هذا الحر اللاهب شيء سريع .. يدفع بـه الى الاسترخاء من كل قدرة ..

اختي .. اني لم اعد اعرف ما اكتب ... واقسم لك ان الحروف تتراقص امام عيني .. ومع ذلك .. سيكارة اخرى .. وزجاجة كولا اخرى .. وسأستمر ! .. لاني أريد ان اكتب اليـك . . اريد ان احدثك مهما كان حديثي تافهاً ..

اختي .. اعذريني حبيبتي فأنا لم اعد استطيع الاستمرار سأكتب لك قريباً وقريبـاً جداً . . وسأحدثك .. وسأستغفرك الى ان تغفري .. حبوبتي هل اطمع بنظرتك؟ ارجو ذلك .. اليـك مني قبلاتي الكثيرة جداً والمزيد من اعتذاري

والى اللقـاء .. اكتبي لي .. اكتبي لي كثيراً واكتبي طويلا ..

اخوك (...)

★ ★ ★

لن اتحدث عن الرسالة . . ولن اقول شيئاً . . . وانما اطلب رفقتك ايها القارىء ، الى رسالة ثانية يتحدث فيها اخي الحبيب عن نفسه وحياته اعطني يدك ولنستمع معاً الى أخي . .

★ ★ ★

اختي . .

موحباً ومساء الخير . .

رسالتك في جيبي منذ ثلاثة أيام . . ومنذ اليوم الاول لوصولها ، بل وقبل وصولها ، أردت ان اكتب اليك . . ماذا اكتب ، لم تكن لدي اي فكرة معينة ، المهم أن اتحدث الى اختي . . ومع ذلك لم اكتب . .

اختي . . رسالتك الجميلة الدافئة اوقعتني في ورطة . . صدقيني . . ان شيئاً في هذه الرسالة جعلني اعيش في تساؤل رهيب ، لايقل ازعاجاً عن تساؤلك . . انت تسألين هل أنا في حلم أم واقع . . وأنا اسأل سؤالاً سبقني اليه حنبقة (كما اذكر) . . اذا كان هذا انا فمن انا . .

من انا . . وهل صحيح ان هذه الرسالة هي لي . . وهل انا نفس الانسان الذي تعرفه (. .) وتكتب اليه . . واذا كنت حقاً نفس الانسان فكيف ابرر حياتي وافكاري وجودي ؟ . .

اختي . . اني اهذي عندما اقترب من هذه النقطة . . ولكن كيف اصور لك الموضوع بوضوح . . لقد عشت اعواماً طويلة على وهم او تصور . . هو اني انسان لامع موهوب عبقري . . الخ . . وان هناك مستقبلاً زاهراً ينتظرني . . ربما كان منبت ذلك اشياء كثيرة . . او نجاحات متفرقة ، او ومضات لمعت فيها عن طريق الصدفة او الامكانيات . . لست ادري . . ماعرفه بالضبط ، (وهذا شيء اقوله لك لأول مرة في حياتي وانت اول انسان يعرفه) هو ان هذا الشعور ابتدأ في يوم من الايام تسلمت فيه هدية من اختي الكبيره . . منك ياغاليتي . . لاأدري ماذا كانت المناسبة ، اعلم اني كنت صغيراً آنذاك ، وكان على الكتاب المهدية ، اهداء . . الى الاخ الذي سأعتز به يوماً . . ربما كان هذا الاهداء الشراوة الاولى التي اشعلت الوهم الذي عشته سنوات طوال . . وعاشه من حولي عن يقين واقتناع او عن مجاراة لي ومن باب التشجيع . .

كان ايماني هذا ، وتشجيع من حولي يدفعاني الى الأمام ويضخمان لي النجاحات التي احققها ويزداد الوهم رسوخاً . . والتصور يصبح اعتقاداً . . وحياتي انقلبت من واقع مليء الى مجرد تطلعات الى مستقبل ضخم وفرص تتفتح فيها الامكانات وتنتشيء العبقرية .

ثم جاءت صدمات الواقع ، ابتدأت بفتاة لعوب ارادت أن تتسلى بي (وتستعملني طعماً لاستعادة حبيبها . وصدقتها بكل وجودي ومنحتها كل عواطفي . . واغمضت عيني على كل الشكوك التي كانت تحاول ان تخزني وتعيدني الى الواقع . . ومرت الأزمة لأجد نفسي وببساطة ، وقد مثلت دور المغفل الكبير . . واستحققت هذه التسمية عن جدارة . . وتمر الاحداث بعد ذلك هل استعرض كل شيء . لا . . ان الامر يحتاج الى مجلد . . المهم ، لقد انقلب التطلع الى المستقبل الضخم ، الى قلق مدمر واحساس حاد بأني لااحتل المركز الذي أستحق ، وان عبقرياتي مدفونة ومواهبي مظلومة . . واني بحق مختلف عن الآخرين واتفوق عليهم . .

وعشت سنوات بهذا القلق ، دون ان احس بجرثومة صغيرة كانت تتسلل بهدوء الى الثغرات التي تركتها مختلف الاحداث في ثقتي بالعبقرية والواجب . . وإذ بهذه الجرثومة تتمكن ، واكتشف فجأة . . اني مجرد انسان عادي . .

انسان لايختلف عن الآخرين .. مجرد فرد من القطيع . .

وحاولت ان اتمسك ببقايا اوهامي او ببريق ايماني بالتفوق ، ولكن عبثاً .. وشيئاً فشيئاً استسلمت لهذا الشعور المريح .. اني مجرد فرد وفي القطيع يقضي ايام اً محدودة في الدنيا . . يترك هذه الدنيا دون ان يخلف بعد ، سوى الاولاد . .

امس سمعت عن جنازة احد اقرباء زوجتي . . زوج عمتها . وكانت تحدثني ان الجنازة كانت فخمة ومشى فيها مئات الناس ، وبدون ان اشعر قفز الى لساني سؤال بسيط ولكني احسست فيه برودة مريرة . . ترى ، هل يسير في جنازتي عشرون شخصاً .. اني اشك في ذلك .

عفواً يا أخت . . فلقد ثرثرت كثيراً . . ولكني كما قلت لك في مطلع الرسالة .. كنت وما زلت اتساءل . . هل حقا ان هذه الكتابة الجميلة لي .. وهل استحق يا ترى هذه العواطف كلها . . ام انها موجهة الى ذاك الانسان . . الى الأخ الأمل . الأخ الوهم .. ذاك الذي كانت تعرفه وكانت تحدثه فيفهم ، او يتظاهر بالفهم .

لقد الغيت اجازتي هذا العام ، ومعنى ذلك مزيد من الغربة والبعد ، ومزيد من الشوق .. ومزيد من الصحراء ..

اختي . .

كم اتوق لدعوتك لقضاء الصيف او بعضه هنا .. ولكن لدعوة مرعبة .. فالطقس جهنم ، ولا يعقل ان يدعو انسان اخته الحبيبة الى اجازة في جهنم .

الف تحية وقبلة لك وللجميع وبانتظار

رسائل منك



لا ابداً انك لست تافهاً ايها الاخ الحبيب انك انسان وانسان متميز ... واني فخوره بك فانت الاخ الذي اعتز باخوته والذي صدق حدسي به ...

ولنستمع معاً يا قارئي الغالي الى اخي الحبيب

لقد تعرضت مدينتي يوماً لنكسة مريره ... نكسة ايلول (٠٠) وعشت انا المأساة بعنف وعانيت منها الكثير وكتبت لاخي اصرخ . . . ابكي ، اريد تمزيق حتى الهواء وانفجرت اعصاراً يحطم حتى نفسه .. اجل تمنيت تحطيم نفسي في ذلك اليوم اللعين وطبيعي ان يفهم اخي النكسة وان يعيها ، واليك جوابه في ذلك اليوم...

اختي الحبيبة

مرحباً ...

منذ دقائق وصلتني رسالتك . . الساعة الآن حوالي الثانية عشر ظهراً .. وها أنذا اكتب اليك من الصيدلية . .

اختي ...

طبيعي جداً ان نتألم .. طبيعي جداً ان نحس اننا اصبحنا مزقاً وشظايا . . بل من العار ان لانحس ذلك . . . ولكن .. من العار ايضاً اختاه .. ان نحني رؤوسنا ونستسلم .. من العار ان نيأس .. .

قبل وصول رسالتك بدقائق كنت اقرأ مايلي :

« ان مزيد الناعين كثر . . والهازئين كثر .. والهاربين اكثر ، والمختبئين لايحصون .. أما الصامدون والمبشرون بشجاعة فقلة ، وعلى عاتق هذه القلة يقع عبء المحافظة على المعنويات العامة .

لاشك ان المهمة شاقة ولكنها ايضاً مقياس الوعي والحيوية والصدق .

ترى .. أي فضل للهازجين في موكب العرس ؟ والنادبين في موكب الموت ؟ الفضل لمن لا يفر من المعركة عندما تشتد ، ولمن يقاوم عندما الصفوف تتداعى ..

لا .. لا .. لن نتخلى .. لن نحني رؤوسنا .. بل نحمي عقيدتنا ..

اختي .. كنت اقرأ هذا الكلام عندما وردتني رسالتك وعندها قرأت تجسيداً رائعاً ، وباسلوب ينبع من اعمق اعماق معاناة التجربة القاسية والالم المرير .. عندما قرأت اصرار المدرسة على تلقين الدروس .. رغم كل شيء ..

اني احس ان كل ما أقوله تافه .. ومبتذل ... ومشوه .. لسبب واحد وضعت اصبعك الجريح عليه بجرأة .. اني بعيد .. بعيد عن الساحة .. بعيد عن كل شيء .. عاجز .. تافه .. وكلامي وانا بهذه الحالة لن يختلف عن كلام ضابط عجوز متقاعد عن الحروب والتحركات وتحمسه ونظرياته ..

ولكن ربما كان لبعدي عن الانفعالات الآنية ميزة واحدة على الأقل .. هي قدرتي على تصور المعركة بروح اكثر موضوعية من اولئك اللذين يحيونها بما تزخر فيه من ملايين التحديات والاهانات ..

اختي .. ابتعدي لحظات عن الجو المحيط بك .. وانظري بهدوء وتجرد .. وستصلين الى نتيجة ربما اضاءت بعض جوانب الطريق المظلمة ..

ان الوضع الآن .. ورغم كافة الاعاصير .. رغم الظلمات .. رغم كل شيء .. احسن منه في عام ٩٤٦ ... احسن منه عام منه عام ٩٤٨ ..

صحيح انها نكبة مخيفة .. ونكسة خطيرة .. ولكن لا شيء يدعو لليأس .. أولئك الذين تعرضوا لشتى صفوف الاهوال .. لم يكن لديهم من الأمل والتفاؤل لم يكن لديهم من الايمان والتصميم اكثر مما لدينا الآن .. والذين حققوا الانتصارات الكاسحة .. وسيروا الملايين ، لم يبدأوا من ظروف احسن من ظروفنا ... صحيح اننا خسرنا كثيراً من المواقع .. ولكننا لم نخسر كل شيء .. لم نخسر ايماننا .. لم نخسر وجودنا .. ولم ... ولن نخسر املنا ..

انه واجب ثقيل تتحمله القلة .. وعمل عسير ان يسير الانسان في وجه التيار .. نحن لسنا بحاجة لمزيد من ... الاستشهاد .. ولكننا بحاجة لمزيد من التصميم العنيد ... والعمل الدائب المستمر .. قد لا نحصل على نتاج العمل بسرعة .. ولكننا سنحصل عليها ناضجة بكل تأكيد ..

أختي ..

لا اعرف كيف اوضح وجهة نظري .. ولكن اذكر انه في عام (؟) كانت الدعوة مضحكة في رأي كثير من الناس وكانوا ينظرون الينا على اننا اناس حالمين .. اناس يبنون في الهواء .. وكان الدعاة قلة .. شبه معزولة عن الناس ... ولكن التيار سرى ببطء ولكن بقوة .. واشتمل الجميع .. واليوم يمكن ان نبدأ من جديد .. نبدأ بتصميم اكثر وبقسوة أشد ..

أختي .. هل لي ان اقترح عليك شيئاً ..

اكتبي .. اكتبي كل ما تحسين .. حللي كل ما يمر بك .. وأودعي ما تكتبين دفتراً او درجاً .. واتركيه للزمن .. فستعودين يوماً اليه .. ستعودين ولا شك لتروي تاريخ لحظات قاسية مرت بك وبغيرك .

وستكون يومها روايتك وحدها الصحيحة ، لأن فيها صدق الانفعال وألم المعاناة ..

اختي .. لن استمر اكثر .. اكتبي يا .. اكتبي كثيراً .. اليك اطيب تحياتي واصدق تمنياتي .. والكثير الكثير من قبلاتي .. واسلمي لأخيك الذي يعيش في مصيدة الجرذان مقيداً مشلول الحركة ..

والى اللقاء

اخوك

★ ★ ★

والآن دعني لوحدتي يا قارئي الغالي فالغربة التي اعانيها مريرة ... ولكن لا . تبعد لا تتركني تعال نستمع معاً الى قصيدة حلوة ، فنحن بعد هذه العواطف المتوترة الصادقة بحاجة لترفيه ، وكلمة ناعمة .



= لاتسلني =

شعر ياسين الفرجاني

لا تسلني عن الحنين أقضا
والجوى هد والفراق أمضا

أسكرتني الجفون يا لفؤادي
من صحاح سقينه الخمر مرضي ؟

يعلن القلب من شجوني بعضا
فأغني الهوى ويكتم بعضا

زكريات زحمن أفق خيالي
وتوهجن في مدى الظن ومضا

أين زاه من الحياة تولى
ونضير من الشباب تقضى ؟

كل دين قضيت يا دهر إلا
دين قلبي متى بربك يقضي ؟

لهف نفسي على ربيعي يذوي
بعد ما كان مورق العود ، غضا

أزرع الدرب من جراحي حباً
في ظلال المنى فأحصد بغضا

ساعة الحزن تستديم طويلا
وليالي الصفاء يمعن ركضا

ليس مني الجناح ان هيض أولم
يقو في غمرة العواصف نهضا

لي على النجم غدوة ورواح
ملعبي النجم ، غيره لست أرضى

تورثني نخوة الاباء وعزمي
من عوادي الزمان أقوى وأمضى

وسع الشعر أصغراي وضاقت
بقصيدي الشموس طولا وعرضا

أقطف الشهب كرمة وأروي
ظامىء الشوق سلسل النور محضا

وأطلت مناي من أفق أمسي
كاشفات غدي : سماء وأرضا

أتملي الغيوب كفاً أشارت
ولساناً بمغلق السر أفضى

أجتليها غوامضاً ، كل ستر
عن خفي من المجاهل ينقى

وعذارى الاحلام يهزجن حولي
راقصات ، يمسن لدناً وبضا

في دمي الشوق ، لاعجات لهيب
كدن ينطقن بالصبابة نبضا

لا تسلني عن الجنين أقضا
والجهد هد والفراق أمضا

شعر ياسين الفرجاني

الحذاء المقدس

تأكد ان النساء جالسات في ساحة البيت الصغير، عندما لم يفتح الباب بسرعة .

كان منهكاً يوشك ان يسقط على الارض ، الا أنه كان رجلاً قويا لم يعرف الضعف الى عزيمته سبيلا ، فسوى ظهره ، وشد صدره ثم دخل وعلى شفتيه ابتسامته المحببة ، وطرح السلام ، فردت النساء بصوت واحد :

– الله يعطيك العافية .

ولحقت به زوجه الى غرفتهم الضيقة، تحمل طستاً كبيراً من التنك بيدها اليسرى ، ووعاء به ماء غال في يدها اليمنى وما وضعتها حتى أمرها بمغادرة الغرفة ، ولم يكن لها الا الطاعة، لكن بدى الأمر غريباً، فهو يبدل لباسه أمامها من سنين ، فماذا جرى اليوم ؟

وحدثتها نفسها بالدخول ، وما شقت الباب ، حتى أتاها صوته صارخاً ، فعادت خجلى مطرقة الرأس ، بينما تبادلت النسوة نظرات استغراب ، لكن واحدة منهن لم تنطق بكلمة ، حتى الاطفال الخمسة ، كفوا عن اللعب ، وجلس كل منهم بجانب أمه صامتاً بلا حراك ..

ومرت فترة قصيرة ، سمح لها بعدها بالدخول ، وما رأته حتى كادت تطلق صرخة، تجمع كل اهل الحارة ، لولا أن عينيه الكبيرتين القاسيتين أمرتاها بالتزام الصمت

– ولكن ماذا جرى ؟ هل تشاجرت مع احد ؟ هل كانوا كثيرين ؟

– لا تثرثري ، وحاولي ان تنزعي هذا القميص اللعين عن جسدي .

كان القميص ملتصقا بظهره ، وقد تجمد الدم المقرب من الجروح لطخاً كبيرة فوقه .

وضع يده بين أسنانه وأطبق عليها بينما كانت زوجه تحاول نزع القميص متلطفة دون جدوى .

وأخيراً نهض فنحاها جانباً، وبحركة سريعة نزع القميص فتفتحت الجروح ينابيع صغيرة في ظهره ، فنام على صدره بينما أخذت تمسح الدماء بخرقة قذرة مبللة بالماء الساخن ..

– ما أصعب شغل الفاعل ؟ لولا أن كرامتي تمنعني من أن أرجو الشرطة ليسمحوا الي بالوقوف بعربة التمر هندي، لما أقدمت على هذا الشغل ، على أي حال هذه الجروح ستندمل بعد أيام ، عندما يعتاد ظهري الشغل ..

– لقد أرعبتني ..

وبينما هي تغسل الخرقة ، اذا به ينتفض مذعوراً :

– الحذاء .. الحذاء المقدس

وكان قد نسي أن يقبله عند دخوله كالعادة

– واللوحة ؟ أين اللوحة ..؟

كانت اللوحة تمثل شابين فلسطينيين ، يلعبان الورق وكان وجه أحدهما أسود داكناً وعيناه زرقاوين ، بينما كان وجه الآخر ازرق باهتاً وعيناه بيضاوين ..

وقد كان الحذاء يوضع فوق اللوحة على الجدار الاصفر .

هجم على زوجته مجنوناً فهزها بين ذراعية القويتين هزاً عنيفا

- أجيبي أين الحذاء المقدس واللوحة ، اجيبي قبل أن اقتلك .

ولم تكن تستطيع أن تخبره ، كانت تعلم أنه سيثور ويغضب ولكن ليس الى هذا الحد ..

ولطمها على خدها الأيسر فارتمت على الارض ، يسيل الدم من فمها ممزوجاً بلعابها و ..

دخل الابن الاكبر ، فرأى امه ملقاة على الارض تبكي ، وقد وقف أبوه عملاقا ضخماً يتصبب عرقاً ، وينزف دماً ، فوقف مشدوهاً وحدجه الأب بنظرة أطارت صوابه :

- هل تعرف اين الحذاء المقدس واللوحة ؟

وتسمر ..!

- قلت لك هل تعرف أين الحذاء المقدس واللوحة ، أجب ..!

- إنني .. لقد ..

- انطق ..

- موجودان ..

- أين ..؟

- داخل الصندوق ..

وأطل الشيطان من عينيه

- في الصندوق ..! من وضعها هناك ؟

- أن .. إن ..

فصرخ :

- من ؟

خبأ وجهه بيديه ، وأحنى ظهره ، وانكمش ، واستعد للكمة قوية في بطنه ، ثم همس :

- أنا ..

وارتفع حاجباه ، وانفرجت شفتاه اليابستان :

- أنت ..! أنت اخفيت الحذاء المقدس واللوحة . .! من أين جاءتك الشجاعة . . ؟ ان هذا عمل رجال ، فاذا كنت نويت أن تصبح رجلا ، فقف كما يقف الرجال وأجبني لماذا اخفيتها .. تكلم .. لاتخف

- أبي ..

- قلت لك لاتخف ..

- أريد ان اقول بأنه ليس مناسباً وضع الحذاء في صدر الغرفة كأنه تحفة ..

- تابع ..

- ثم وضع اللوحة تحته ، انها اهانة ، إنني لاأستطيع أن أدعو احداً من رفاقي الى بيتنا بسببها ..

- ها ! وماذا ايضاً

- هذا كل شيء ..

- حسناً لنقعد ، ونتحدث بهدوء ، وأنت ابعثي واحداً من العفاريت ليشتري لي علبة دخان ، واغلي لنا فنجان قهوة أخرج الحذاء المقدس واللوحة من الصندوق .

- هاهما .

أخذ الحذاء بين يديه رفيقاً به ، ثم قبله وتنهد :

ـ آه .. ماأطيب رائحته ! هل قلت لك انني أقدس هذا الحذاء وأعبده

ـ لا .. لا لم تقل لي

ـ ألم تسأل نفسك مرة لماذا أضعه في صدر البيت واللوحة تحته ؟

ـ كنت أريد أن اسألك ولكني ..

ـ حسناً ! سأحكي لك قليلا عن هذا الحذاء، ربما لاتعود تخفيه

ـ الدخان والقهوة

ـ هاتي ، ضعيها هنا على الحصير ، واذهبي الى جناح الحريم وبعد لقد كان هدا الحذاء لرجل عظيم أقدسه ، تعال هنا وانظر

ـ انه ثقب !

ـ كان صاحبه يقوم بالحراسة عندما اخترقت رصاصة كعبه .

ـ غريب !

ـ أجل كان يقوم بالحراسة بينما قعد الكثيرون في بيوتهم يرتجفون من الخوف كان يجب أن يحميهم ، يحمي ارضهم .

هل تدخن سيجارة ؟

ـ أنا ؟ لا .. لا أعوذ بالله

ـ ترى كم أنت جبان ؟ لقد رأيتك مرات تدخن ..

ـ لكن

ـ خذ أو لاتدخن وراء ظهري .. آه ماأطيب الذكريات هل تعرف ماجرى لهذا الرجل بعدما جرح ؟

ـ لابد أنه زحف على صدره حتى وصل القرية ..!

ـ أبداً ! لقد جاء القرية على قدميه ..

ـ وجرحه ؟

ـ وليس هذا فحسب ، بل كان يجر معه اليهودي الذي جرحه

ـ مستحيل !

ـ أجل ! مازلت أذكر ، لقد وقف في الساحة ، فاجتمع الناس حواليه ، يحملون القناديل بأيديهم ، وقفوا مدهوشين :

رجل يقتل يهودياً ، ويجره من أول حدود القرية للساحة ! ولم يكن واحد منهم يعلم بأنه جريح .

ـ شيء لايصدق !

ـ ترى هذا الحذاء المقدس ! انظر اليه جيداً ، لقد داس جسد يهودي ، ظل واضعاً رجله اليسرى فوق صدره أكثر من عشر دقائق ، حتى ركض بعض الرجال يخفون جثة اليهودي لم يكن يريد أن يزحزح رجله عن الجثة ، لولا ان رجله اليمنى المصابة لم تعد تحمله ، ولكن تذكر انه لم يسقط على الارض أبداً ولم يتكىء على أحد ، لقد عاد الي البيت فانتزع الرصاصة التي استقرت في كعبه ، كان يريد أن يعود للحراسة ، هل تسمع؟ كان يريد العودة للحراسة ، لأنه كان يعلم ، أنه لن يرضى أحد بالوقوف في تلك النقطة ، وكان يعلم أنه يجب أن يكون هناك شخص لحراستها لكنه في تلك الليلة لم يستطع .. هل تعرف الآن لماذا اقدس هذا الحذاء ؟

ـ معك حق ياأبي ، ولكن ! مادخل اللوحة ؟

ـ اللوحة ! لكي تفهم العلاقة بينها وبين الحذاء المقدس ، يجب أن تكون ذكياً ، أعتقد لو انك هجرت السينما والمقهى ، وتركت الله في سمائه ، وفكرت قليلا لاستطعت أن نجد بينهما علاقة

— يجوز ! محتمل ! ولكن ماذا حدث للرجل بعد تلك الليلة؟
— آه .. الرجل العظيم ، لقد أعدم خلال الحرب .
— أعدم !
— هل تدري كيف ؟
— رمياً بالرصاص ؟
— الحق انهم كانوا يستعملون هـذه الطريقة ، ولكنه كان شيئاً خاصاً ، فأعدموه بطريقة خاصة .
— لاأفهم ..
— لقد ثبتوه على الارض ، ثم .. ثم ..
= أبي ! أنت تبكي ..
— ثم مرت فوفه دبابة ، دبابة مرت فوقه
— هل رأيته أنت ؟
— ناولني الكبريت .
— حسناً !
— كان يوماً مشهوداً ، كان اليهود يريدون أن يجعلوا منه عبرة للمجتمع وقد انتصروا بعد سقوط حيفا ، فجمعوا أهـل القرية في الساحة نفسها التي وقف فيها فوق جثة اليهودي ، كان هناك اطفال صغار ، وعجائز وأمه . . أمه كانت هناك ..
— أجل لقد كنت هناك ، رأيتـــه يتمزق .. يتمزق أمامي ولم أفعل شيئاً .
— ولكنك كنت ..
— كلا ! لقد كنت شاباً ، كان يجب أن افعل شيئاً لكنني لم أفعل ..
= والحذاء .. قصدي الحذاء المقدس كيف حصلت عليه؟
ونام على صدره متعباً ثم همس من خلال دموعه :
— لقد كان حذاء أبي ، أجل كان حذاء أبي ..

دمشق ـ وليد دسوقي

قطرات الدم

بقلم : م . كامل كرباج

« يجب ان نكون متشائين بادراك ولكن نبلاء »

الشاعر محرات العالم

كل مايعطيه المحرات للارض من خصوبة يعطيه الشاعر للعالم .

القلب الذي لا يحب صحراء .

في بعض الاحيان تتكلم الافواه عندما تسكت القلوب .

هذا هو معنى التظاهر .

دائماً نسير عميان في طريقنا ، حتى يأتي صباح يقلدنا درع الايمان بالحياة ، فننسى قدرنا .

الفشل يخلق الصراع ، والصراع يخلق الابطال .

دائماً لابد لنا من شهرزاد ، اما شهرزاد اليوم فقد لبست ثوباً اسود .

لولا الشقاء لانعدمت الحياة في بني البشر ، انه القوة التي تحركهم في الصحراء ، فيزيل مللهم ورتابة زخرفاتهم .

الالم هو ينبوع الكفاح والنضال .

سمعت التاريخ يوماً يقول :

انا التاريخ ! كيف تريد مني ان اسير وانت راكد كمستنقع للترف ، سأمضي ، وخلف اقدامي ذيل الدماء ، وعلى الطريق تتناثر اشلاء المتعبين ، يجرها الاقوياء ، فهي لن تبقى لتنتن ...

وسيخرج من يكافح الشقاء ، وفي غمرة الكفاح العظيم .

سأمشي واياك رافعاً رأسي ... نشق الطريق

وخلفنا رايات مجد وعظمة

وسيبقى الشقاء مثلما صاحبني منذ الابد ،

وستجثو عند قدمي تصلي له في كل عيد

منذ آلاف السنين وهو معي يصفني ..

ولسوف يبقى الشقاء سنة للعيش والطبيعة

تتحول فيها الدماء الى تماثيل النضال .

وسمعت الوجود يوماً يقول :

« بالشقاء ...

سوف تكتسح التفاهة والملل ..

ولسوف ينتصر الامل ..

والحياة ...

سوف تبقى متحفا ليس يثمن

الدماء الحارة تجلوه ...

والعضل المفتول يبنيه ..

كيما يظل قيمة ..

للحياة المقبلة ... »

وسمعت التاريخ ثانية يقول :

« انا الليل

الكل يجهلني

وليس من يعلم سر شموخي

انا الليل ...

وفي زواياي آلاف الاهات تموت ...

كي اولد معها في كل يوم ! »

بين المجـد والانسان هاوية رهيبة . عظيم هو الذي يعبرها على حبل .

هناك بشر يهوون ان يظهروا امام البشر التافهين ، وهنـاك من يهمهم ان يظهروا امام البشر العظماء ، لكن العظيم هو الذي يحب المجد الخالص .

هناك نوعان من الشعراء : الغربان والنسور . هؤلاء يتوقون الى التظاهر ، واولئك الى المجد .

المجد انشودة لا يعرفها الا الآلهة .

السنون حبات تمضي مثل اهوائنا ونزواتنا . لنجرع الخمر اذن . ولكن اى خمر يبتغي الشاعر ؟

الشاعر الاعظم هو الاناني الكبير .

الانسان الحساس يعيش ابدا بـين كآبة واقعـه وثورة جرأته .

اننا مثل اوليس [١] ، نزرع ملح الحياة ، وكأننـا ملوك فقدوا عقولهم .

اى ذهول نحصد في درب المجهول ؟.

---

(١) في الالياذة يرى اوليس على شاطيء البحر يحرث الرمال فيسألة احدهم :

– ماذا تفعل يا اوليس على شواطيء البحار خلف هذا المحرات؟

– ازرع الملح

– وماذا تحصد ؟

– احصد السمك .. هاها . . بل احصد الباذنجان . . مالك تضحك ؟ نحن نعمل لنسمعكم

انتم الاسياد ...

ثم ينتقل الى زرع الامواج ..

الخلود غبطة ابدية تتابعنا ونحن نمشي في الصحراء ذاهلين نبـكي ونضحك .

الليل كالنور لمن يفرغ حبه للحياة .

شي واحد عظيم خلد محمد ، انه استطاع ان يتحـدى الصحراء ولهذا اصبح بطلا يملأ التاريـخ .

كان محمد جبارا هائلا لانه استطاع ان يكتسب عظمة الهية دون ان يلف نفسه بثوب الالوهية .

استطاع المسيـح ان يكون عملاقا ، يشق الصـدور بالسيوف ... ويزرع الحروب ، ويكسب نصر الآلهة .

كل نبي عظيم مهما حاولنا ان نظهره بمظهر المخادع ، يجب ان نكتشف سر عظمته . هكذا كان المسيح ومحمـد وموسى وزرادشت وبوذا .

ساعة يبتسم الفجر اول ابتسامة ، يشهق الليـل آخر شهيق .

الحيـاة بين ذراعي الموت دائرة تدور ، كأن انسانا واحدا يديرها ، تمضي اجزاؤه ثم تعود . وفي كل ممات ولادة .

بمياه الايام

نخيل التراب

ونلقي على الارض طين الالم

كأشلاء اموات ..

وعلى الدرب اينما نسير

نخلف طين العذاب الذي خدره الشعور

فوق بنايات العصور ..

ونشيد قصورا في سقوفها نعلق حبال مشانق

وننتحر ..

ونحن نبتسم ابتسامة منتصر خدعه العدو !

يظن البشر ان الكمال افضل من الجمال ، الا اننا عندما

نتذكر ان باريس [1] ترك هيرا واثينا كي يقبل افروديت آنذاك ندرك طبيعة لانسان .

كما يكون حبنـــا حارا يجب ان نرى في التي نحب رمزاً للحياة .

من الجيد ان نعود للايمان في اللحظات الخيالية .

الطبيعة هي نغم الحياة الشاملة ، والقلب البشري هو نغم الخيال الشامل .

ولدت مع الربيع ، ولكنني صديق الشتاء والصيف .

حياة الناس اوهام لا تتعدى الحاجة اليومية والتسلية .

عندما نكره الحياة نكره الام .

عندما تسير الحياة كساقية راكدة نحو المستنقع ، ينفجر في زوايا بعض القلوب بركان روح النبي .

النبي يمشي على الدرب الكبيرة ، وعلى كفه تسير روحه الملتهبة ، وهو يجر خلفه في الصحراء رداء احمر ، ويحلق نحو مضارب الحياة .

ايها الحقد ! كن كريما .

ابصرت مياه الغدير تجرى باستمرار ، اما صورة القمر فقد كانت ثابتة في جبهته ؟ لماذا يا ترى ؟

يمكننا بالحب والالم ان ننتصر على الموت البطيء .

قعر هاوية الحياة هو قمة جبلها واعلى نقطة فيهـــا من الجانب الاخر .

الشمس مركبة الحيـاة والليل جلادها ، ولكن من المنتصر : الشمس او الليل ؟

ان انساننا اصبح بعد مآسيه وبعد ان عاش في كماليات توفر له حاجة الصراع ، اصبح ميالا الى العنف كي يشبع نهمه . ان الميكانيكية التي تفقده هدوء حياتـه المبنية على اساس القيمة ، هذه الميكانيكية دفعته الى العنف بشكل هائل .

عندما يقف الانسان امام الزمان اللامتناهي يبرز له شبحان : الموت والخوف ...

عندما نفكر في واقع حياتنا المتدفقة آنذاك تصبح افكارنا قصائد .

لايمكنك ان تعرف قيمة الحياة اذا سمعت ، عنها يجب ان تعيشها !

الرمز لا نهاية

يجب ان نعطي للحب ما لا نعطي لاي شيء اخر .

كل ما قاله البشر في حياتهم كذب غير صحيح مـع انفسهم . الكلمة الوحيدة الصادقة التي قالها البشر في تاريخهم هي اعترافهم بعدم مصارحتهم لانفسهم اي بكذبهم الابدي !

مشكلة الحياة الحارة انها تدفعنا الى طلب المزيد منها .

ما دام العمر يمضى هكذا فلماذا لانحيا الحياة بغزارة .

الحياة تمثيل ، كلنا يسعى الى تمثيل الادوار على غيره مهما اعتقدنا انها صادقة .. وكلنا يمثل بكذب !

ما اتعس هذه التمثيلية .

لماذا نريد ان نجعل الناس متساوين بوضعهم كلهم في الدرك الاسفل ، سنحـاول ان نجعلهم متساوين في السمو والعظمة والعلو والارستقراطية الفكرية .

كثير من الساعات تضيع في سبيل قليل من الساعات تفيد . هكذا تبدو حياة البشر لحظات فريدة بين سنيهم ..

استطاع المتنبي ان يكون اول من يجمع عالم الملحمـة وعالم المأساة في شعره .

تمثيلية الحياة تبدأ عندما يتفتح العقل .

امحوا الكذب من حياة العبقرية ، تجدوا السراب .

ان العبقرية كذب وسراب .

حتى الحب تحول في حياتي الى معركة .

ان حياتي معركة .. وانا المعركة الكبرى .

---

(١) باريس ابن بريام ملك طرواده. وعندما اتت الالاهات الثلاث عنده افروديت الهة الجمال وهيرا زوجة زيوس واقوى الالهة واثينة الهة الحكمة تحتكمن لايها يعطي التفاحة اعطاها لافروديث ناسياً اقوال هيرا واثينا .

مباهج الحياة

مهداة الى صغيري الحبيب .. تمام ..

شعر : محمد منذر لطفي

من يعرف الحيـاة كثيرا
يهجر الحزن والنـواح الكثيرا
شغلتني عن الهموم بقـايا
من جميـل الرؤى ، فبت أسيرا
سرني أن أرى مع الفجر قومـا
تركوا البـذخ جانباً والقصورا
حملوا الخـير للحقول .. ولكن
كن معي دائماً ، فتمسي كبيرا

★ ★ ★

ياصغيري عش في الحيـاة سعيدا
فجمال الحيـاة أمسى وفـيرا
ن عمر الانسان شيء ثمـين
ليس حقـاً أن ينعتوه مريرا
ياصغيري طف بالحـدائق دوما
وانظر المـاء والسما والطيورا
ياصغيري تعـال نمش الهوينا
لنرى جـدولا يغني .. نميرا
سبحت فيـه نجمة ذات دل
واستحم الهـلال فيه غيورا

★ ★ ★

هل رأيت الأفق الجميل يغني الشمس ألحانه فيذكي الشعورا!
هل نظرت الربا وقـد لفها الثلج وشاها من البياض طهورا
هل شهدت الجداول الزرق سكرى
ونسيم المساء ناغى الغـديرا
هل سمعت الراعي يرتل .. لحنـاً
وقطيعاً يصغي ، وكلبـاً صغيرا
انـه الحسن أينما كنت .. يغشى
مقلة الكون فاتخـذه سميرا

★ ★ ★

ياصغيري كما ترى فجمال الكون.. جم، والعيش أمسى حريرا
ياصغيري لولاك لم أعشق الورد ، ولولاك ماغدوت أميرا
سوف اجنى لك النجوم اللواتي
كنت قـد قلت لي عليها كثيرا
وسأهديك عـالماً من ضيـاء
وهـلالاً – كما تحب – منيرا
فتمتع بالعمر مـادمت حيـاً
ولتكن فيـه نسمة وعبيرا

★ ★ ★

محمد منذر لطفي

امــل

قصة : عبد الرزاق جعفر

وضع قلمه على الطاولة وقام من مكانه متجهاً نحو سترته المعلقة في ركن من اركان الغرفة ، وأخذ يفتش في جيوبها عن لفافة يدخنها ليستريح من عناء العمل ، وليركز افكاره المضطربة التي لم يجد سبيلا الى تصنيفها وترتيبها . وهذه حال تنتابه حين يشرع في كتابة قصة جديدة .

بالأمس مساء ، في هدوء الليل ، كان في فراشه مغمضا عينيه . وكان يرى ابطـال قصته ، على الرغم من ذلك ، يتحركون أمامه على طبيعتهم ، ثم تدخل في الأمر فحركهم كما يشاء ، وغير من سجاياهم وبدل من اوضاعهم . حدثهم وحدثوه ، رضي عن بعضهم فأبقاه حياً ، وغضب من بعضهم فقضى عليه سريعاً وأزاله من عالم الوجود ، وخلق عوضاً عنه ، اشخاصاً آخرين .

ظل على تلك الحال ساعة او ساعتين حتى تم له ما أراد وألف قصة بديعه كاملة من جميع النواحي ثم غاب في نوم عميق سعيد .

واستيقظ صباحاً ، فجاس الى طاولتـه ليسجل تلك القصة التي خلقهـا . ولكنه شعر بأن افكار الأمس الجميله اخذت تنفر منه او انها تتزاحم كلها دفعة واحدة تريد أن تنطلق من رأسه المحموم الى الورقة الذليلة الساكنة امامه .

* * *

اشعل اللفافة ، وحمل تلك الورقة بيده . وبدأ يقرمافيهـا :

كانت « أمل » مسترخية على كرسي طويل ، في شرفة بيتها الريفي ، تستمع الى الموسيقا النـاعمة التي تنساب من الراديو القريب منهـا . وكتاب صغير يستريح سعيداً على صدرها الفتي .

كانت تنظر الى الوادي الاخضر السحيق والجبال الوردية الشاهقة يغازلها الضباب الرقيق وتتف من الغيوم الشاردة هنا وهناك . والطير تروح وتغدو ولا هدف لها الا اتمام تلك اللوحة الساحرة واضفاء جو من الحبور والسعادة والفرح على الكون والفتاة الحالمة السعيدة . كانت تغمض عينيها الخضراوين الواسعتين لتسترجع ذكريات الليلة الماضية فتعلو الابتسامة ثغرها الفاتن ، ثم تعود فتفتحها لتتأمل الوادي الجميل ، دون أن تتحرك من مكانها .

وأعـاد صاحبنا الورقة الى الطاولة . ورفع قلمه ليتم الكتابة . ولكن باب الغرفة فتح . ودخلت زوجه بشعرها المشعث وثوبها القذر تحمل مكنستها بيـدها . ورفع نظره اليها ، فقالت له بأدب جم :

— نحن بحاجة الى ليرتين . . هل تستطيع أن تعطينا . .

فقاطعها بخشونة :

— ولماذا ؟

فردت عليه بهدوء :

— لأننا اشتريناها للاولاد . .

ولم يدعها تتم كلامها ايضاً . بل قال لها باقتضاب :

— خذي حاجتك من جيبي . .

فبحثت في جيبه قليلا، ثم انسحبت من الغرفة كما ينسحب ظل غيمة سريعة .

وعاد الى العمل .

كانت بالأمس تجلس مع حبيبها « سامي » .. ولم يكن معهما أحد غير السعادة. وكان يحدثها حديثا كأنه شعر رقيق ويشرح لها شوقه اليها ولهفته . ويقص عليها بعض مارأى في اوروبا . . اوروبا التي لم تسعده لأنه قد ترك قلبه عندها هي حبيبته . . وذكر لها انه لم يتم رحلته بل اختصرها وعاد اليها سريعاً كي يمتع نظره بجمالها .. الذي لا يقوى على الابتعاد عنه . وسألها عن السر الذي تملكه والذي جعله اسيراً لها فضحكت .. ولم تجب ..!

ثم رقصا قليلا صامتين .

ضمها الى صدره القوي . ووضع خده على خدها . فأغمضت عينيها . وغرقت واياه في احلام هنيئة ولم تدر كيف استيقظت وكيف عادت الى عشها الريفي وفي أي وقت عادت . كل ماتعرفه ان حبيبها سيأتي بعد قليل .

* * *

وهنا انبعث صراخ عنيف في البيت . وازداد الصراخ بشكل حاد مزعج . فلم يستطع صاحبنا ان يتم الكتابة . بل قام من مكانه . وخرج من الغرفة راكضاً حتى وصل الى حيث كانت طفلته الصغيرة « فيروز » فحملها بين ذراعيه . وطفق يداعبها ويهدئها . يعبس في وجهها تارة ويبسم تارة أخرى . ويرقص لها . ويرفعها في الهواء . وينزلها الى الارض . ولكنها لم تصمت . ولما شعر بأن هذه الطفلة الخبيثة لا تفهمه وبأن صراخها الداوي لا ينقطع أخذ يتجول بها في الغرفة وفي فناء الدار مفتشاً عن امها حتى عثر عليها اخيراً عند الباب فصاح بها :

— اين كنت ؟ ألم تسمعي بكاء هذه الـ ..؟

فقالت معتذرة :

— كنت عند الجيران.. ام محمد.. مسكينة.. مريضة.. ورحت ازورها.. وما كنت اعتقد ان فيروز تستيقظ بهذه السرعة .. تعالي ياحبيبتي تعالي ..

-- خذي حبيبتك .. وخلصيني .. اوف .. اعوذ بالله ..

وحين انتقلت الطفلة من يدي والدها الى صدر امها هدأت ثورتها وانقلب بكاؤها ضحكاً وفرحاً على الرغم من ان الدموع كانت لاتزال في عينيها الصغيرتين كأنها قطرات الندى على ورقة ورد ..!

فهدأ بعض مابه . وعاد الى خلوته . وتناول قلمه .. تناول قلمه . .

ولكنه لم يكتب شيئاً بل اخذ يفكر في القصة التي بدأها . لقد خلق شخصين اراد ان يكونا سعيدين . والحب عنصر اساسي للسعادة . فربط بين قلبيهما . ولكن السعادة لاتتم الا بالمال فأفرغ خزائن احلامه واغدق عليهما المال بكرم فائق . واطلق لهما الحرية في التنقل او الاستقرار ، في الحل او الترحال. فاختارا بلدة صغيرة هادئة في جزيرة صغيرة نائية وسكنا فيها بعيدين عن الهموم قريبين من الراحة والهناء .

وها هما الآن في حديقة قصرهما الغناء يحلمان ، أمام بركة كبيرة تسبح فيها سمكات ملونة ، وتحيط بها الخضرة ، والزهور الجميله تقوم بمهمتها الابدية في نشر العبير ، والاشجار الطويلة الساكنة تشرف على القصر كأنها حرس من العمالقة وها هي ذي أمل تركض نحو الراديو وما ان تلمسه بيدها السحرية حتى يرسل الانغام الناعمة الهادئة . فترجع الى سامي لتجده وقد استراح على مقعده . فتطبع على جبينه العريض قبلة رقيقة اودعتها كل حبها وهيامها .

ثم تعود فتجلس على حافة البركة متأملة زوجها تارة والسمكات تارة أخرى . وتمد اصابعها لتعبث في الماء .. !

وهنا ..

وهنا فتح باب الغرفة بعنف . ودخل ابنه « سمير » مندفعاً كأنه قذيفة صائحاً بأعلى صوته :

— بابا .. بابا ..

فرفع الأب بصره . وقال له مؤنباً :

— نعم .. خير ان شاء الله ..؟!

فشعر الصغير بسوء تصرفه . ولكنه ظل يتكلم بسرعة بكلمات متدفقة كالسيل :

— بابا .. فيروز تبكي .. وماما في المطبخ .. بابا المعلم يريد منا ربع ليرة .

— ربع ليرة ؟ ولماذا ؟

— في الصف طالب فقير .. قال المعلم يجب ان تجمعوا له مساعدة .. يجب ان تساعدوا الفقراء ..

— مصيبة كبيرة مع معلمك .. كل يوم يجمع دراهم .. مرة للنشاط المدرسي .. ومرة للتعاون . ومرة لتزيين الصف .. ومرة .. هل نحن اغنياء ؟.. خذ ربع ليرة من جيب سترتي .. الجيب الايمن وانصرف .. بسرعة .

فيأخذ الصغير النقود وينطلق من الغرفة صاخباً كما دخل .. !

★ ★ ★

وعاد الكاتب الى عمله .

حاول ان يسجل تلك الفكرة التي تصورها قبل مجيء ابنه . بيد انه عدل عنها . فقد لاحظ انها غير منطقية وانها بعيدة عن الواقع . فليس معقولا ان ينتزع ذينك الانسانين من وطنهما ليلقي بهما في رقعة نائية عن العمران والناس بدعوى انهما لن يجدا السعادة والهدوء في بلدهما !! واذا كان هو يحب الوحدة والعزلة فليس من العدل ان يحكم على غيره بالوحدة والعزلة ، ومعظم الناس لا يجدون السعادة الا إذا اختلطوا بالناس . ماعليه اذن الا ان يحذف هذا المشهد .

ورجع الى بطلة القصة « أمل » التي كانت في شرفة بيتها الريفي ، تنتظر حبيبها . وافترض ان الحبيب قد جاء فما الذي يحدث بينهما ؟ اغلب الظن ان مايجرى بينهما يجري بين كل حبيبين .

يصل الحبيب بسيارته الانيقة . فيهبط منها . وينظر الى الشرفة . ثم يصعد الدرج قفزاً . تفتح له الباب . فيمد اليها يده مصافحاً ، متمنياً لو ان عنده الشجاعة لكي يقبلها .

ثم يجلس الاثنان حالمين في ذلك المكان الحالم ، يتحدثان قليلا بلسانيهما . ويتناجيان كثيرا بقلبيهما .

★ ★ ★

وبعد فترة تقوم الى الراديو لتصلح من شأنه فيلحق بها . وتحس بوقع خطواته الخفيفة وراءها . فتتجاهل ذلك .

وتعبث بمفتاح الراديو بينما يتأملها مسحوراً مفتوناً . تستدير فجأة كأنها تذكرت امراً تريد ان تسأله عنـه . فتتعانق النظرات . وينسى العاشقان نفسيهما . فتريح صدرها على صدره . وتفتش شفتاه عن شفتيها . ويحس كل واحد منهما ان قلبه قد جن فرحاً وانه يريد ان ينطلق من سجنه ليلقى الآخر ويغيب معه في عناق طويل .

ويظل العاشقان على هذه الحال مدة طويلة .

★ ★ ★

وفرك الكاتب يديه لهذه الصورة . وتنـاول القلم ولكن الباب فتح مرة اخرى . ودخل ابنه سمير وجلا . نرفع اليه نظرة متسائلة . فقال الولد متعلثما :

– بابا .. صاحب البيت جاء .

– وماذا يريد صاحب البيت في هذه الساعة ؟ لقد دفعنا له الاجرة منذ يومين .

– لست ادري ماذا يريد ..!

– ان هذا الرجل لا يأتي الا ليخلق لنا مشكلة ،

قل له : يتفضل ..

فخرج الولد بينما حمل الكاتب الورقة اليتيمة ووضعها في جيبه .

وقام ليستقبل ضيفه ..!

عبد الرزاق جعفر

★★★

الصديق والموت

قصة : م . هشام التكريتي

كان كل شيء هادئاً ، رغم الضجة الكبيرة التي يثيرها الأطفال .. وهناك ، على امتداد الجدران المنخفضة يقف عدد من التلاميذ الذين يتظاهرون بالرزانة .. ويتباهون برجولتهم المبكرة .. يتحدثون حديثاً خافتاً .. هادئاً .. مصحوباً باشارات مضطربة .

وفي وسط الباحة .. كان هنـــاك عدد لايحصى من العابثين الصغار .. يركضون ، يصخبون يسبون بعضهم ويتشاجرون .

ويهرع طفل صغيرلا يتجاور الثامنة الى الزاوية القصوى من الباحة .. ودمعة كبيرة تترقرق في عينيه .

ـ استاذ .. مروان ضربني ..

ـ هاته .. وتعال ..

ويدير الاستاذ وليد بصره فيما حوله ، اليوم نوبته في مراقبة التلاميذ .. إنه يحب هذه المهمة ، يعكس كل زملائه انه يضيع في عبث الأطفال .. ينسى نفسه وهو يراقب هذه الابتسامات والتجهات الطفولية ..

ـ لم ضربته ؟ ؟

ـ يا استاذ .. والله .. أنا ما ضربته .. لكن ..

واحمر وجه الطفل وهو يلقي بأعذاره .. نفس الأعذار التي يبديها أكثر الأطفـــال نظر وليد إليه . . يا للطفولة السعيدة ، السعيدة بكل شقاوتها .. بكل ما فيها من غبـاء وألم .. و .. و .. وهوى وليد بعصاه الصغيرة على يــد الطفل الممدودة أمامه ، ثم تركه يمضي دون ان يشاهد نظرة الحقد التى طغت على بريق عينيه ..

ـ « يوم آخر يمضي » ..

تمتمها بصمت .. واستند على شجرة الليمون العتيقة ، وأشعل لفافة .. لقد قالهـــا دوماً « يوم آخر يمضي » .. ولكنه نادراً .. ونادراً جداً ما كان يحس بمعانيها .. بحروفها العميقة لقد أمست جملة تقليدية يكررها .. دون تأثر . . دون شعور .

خمس دقائق اخرى ويقرع الجرس .. ويشرف على اصطفاف التلاميذ ، ثم على دخولهم الى الصفوف . . خمس خمس دقائق أخرى وتبدأ الحصة الأخيرة .. الحصة الاخيرة مملة .. دائماً مملة فالشمس تهاجم رؤوس الطلاب دون رحمة ، وتخدر قواهم ، وتصرف انتبـاههم . . والجهد الذي بذله الأستاذ طوال اليوم ، يبـدأ مفعوله في الحصة الاخيرة ، فيحيل نبرات صوته الى ألحان نائمة .. تلفظ بكسل . . باشمئزاز وربما ..

ـ يجب أن أذهب اليوم لزيارة فايز

لقد اعترته الدهشة منـذ الأمس ، حينما لم يحضر فايز الى المدرسة .. انه لم يتعود التغيب أبداً .. ربما كان مريضاً قال هذا في نفسه . .

ـ استاذ .. المدير يطلبك ..

ومضى وليد باتجـاه غرفة المدير .. ترى ما الذي يريده ??? تعليمات جديدة لا يتبعها هو نفسه ??? أم محاولة جديدة أخيرة .. لاشراكه معهم في حفلة اليوم ..

وشعر بالضيق ..

— استاذ وليد .. تفضل

وجلس وليـد على المقعد الذي اشار اليه المدير .. مدهوشاً من لهجته ، أدار بصره في وجوه زملائه .. كان التجهم بادياً عليها .. نظراتهم جامدة .. وجباههم مقطبة ..

— ما الذي حدث ???

— أوه ... ألا تدخن لفافة ???

— لا .. شكراً ..

أشعل المدير لفافة لنفسه .. وأخذ التبغ يحترق ناشراً غلالة رقيقة من الدخان امام وجهه السمين ..

— في الحقيقة .. لست أدري كيف أبلغك النبأ .. لقد كلفني الاخوان بأن أنقـله اليك .. وهي مهمة .. مهمة صعبة .. و ..

وشرد وليد .. أي نبأ هذا ?? واحس بانقباض أسود يغمر قلبه .. نبأ مصيبة ?? نبأ موت ?? نبأ حفلة ?? نبأ « مزحة » ?? .. نبأ ...

— وهكذا .. فان من واجبنا جميعاً أن نتحمل الصدمـة برجولة صادقة ..

— ولكن ..!! .. أية صدمة ?? .

— فايز ..

— ما به .. ?? !

— لقد .. لقد مات ،

— مات ..??!!..

ونظر وليد الى وجه المدير عبر غلالة الدخان .. كان يحدق الى الارض ، وكأنـه يخشى النظر الى عينيه كأن يبدو كشيطان مطرق وشعر وليد بالحقد نحوه .

— أية مزحة هذه ??? .

— لا .. صدقني .. أمه جاءت منذ دقائق .. وقالت ..

مات .. ! .. ?? من المستحيل أن يموت فايز .. أنها دعابة من دعابات هذا المدير السمج .. وإلا .. !!..فما معنى ما تفوه به ?? مامعنى أن يقول : لقدمات ??

ونظر وليد الى وجوه زملائه .. كانوا مطرقين . ساكنين .. يلفهم جو جنائزي قاتم .. واصطدمت عيناه بعيني عمر ..

— يا وليد .. لست ادري كيف اتكلم .. كنت أعز صديق لديه .. كنـا نتوقع الصدمة التي ستفاجأ بها .. ولكن الامر بيد الله .. لقد كانت « جلطة في القلب » ..

إنهم يندفعون بكل قواهم ليؤكدوا له موت فايز .. يغيرون طبيعـة وجوههم .. يستوردون التجهم والعبوس وينطقون الكلمات المأساوية .. لم تهدفون الى هـذا ? لم .. ??

— كلنا لها ..

أول أمس كان معه .. خرجا كعادتهما بعد الانصراف وسارا شوطاً بعيداً .. ثم افترقا عند البوابة .. اتجـه فايز الى منزله .. كان ذلك اول امس .. اول أمس فقط ! ! والبارحة لم يأت فايز .. استغرب هذا وليد .. وعقد العزم على زيارته اليوم .. ظن أنه مريض .. ظن أنه قـد وجد عروسه الموعودة .. اليوم فكر بالذهاب لزيارته ..

إذن .. فقد مات !!..

— نعم .. إنا لله .. وانا اليه راجعون ..

جملة النعي .. انهم ينعونه ..

ونظر المدير الى ساعته .. ومد اصبعه وضغط على جرس صغير ، فامتلأ الجو برنين حاد . . وخفت ضجة الاولاد شيئاً فشيئاً الى أن تلاشت .. ونهض عمر ، وخرج من الغرفة ..

الصمت ثقيل .. ثقيل .. نظر وليد الى المدير ..انه يشعل لفافة جديدة .. ربما يريد اخفاء اضطرابه .. إذن فقد مات فايز .. والمدير المسكين .. الطيب القلب . . يحاول اخفاء اضطرابه . . ودارت نظرات وليد على الوجوه المتخشبة . . غاصت فيها لم يكن هنالك إلا خشب صلد .. وتوترت أعصابه .. كان كطفل صغير حبس في ليلة راعدة في متحف للشمع .

وضغط المدير مرة أخرى على الجرس الصغير ضغطة خفيفة .. وتململ المدرسون في أماكنهم ..

لقد مات فايز ..

وابتسم وليد ابتسامة باهتة . . وقال بصوت مرتفع يشبه العويل ..

— مات .. مات .. الله يرحمه ..

وتمتم الجميع وكأن جاثوماً جبارا انزاح عن صدورهم .

— الله يرحمه ..

ونهضوا تباعاً . . وانقذفوا خارج الغرفة . . بقي وحيداً مع المدير ..

— الله يرحمه ..

— الله يرحمه .. كلنا لها ..

رد المدير باضطراب وقد شعر بأنه وحيد مع وليد ..

واتسعت ابتسامة وليد الباهتة ، ونهض من مكانه .. وراح يذرع الغرفة بهدوء كان قلبه يعج بعشرات الاحاسيس التي تصطدم ثم تتلاشى ، تاركة مكانها فراغاً كبيرا . . وحطام سخرية .. لقد مات .. فايز مات بكل بساطة .. اليوم كان يود لو يزوره . . وأول امس كانا يثرثران . . ويلوكان الأحاديث العادية .

— الله يرحمه ..

وقبل ان يجيب المدير ، محركا يده السمينة باللفافة المحتضرة .. انطلق وليد خارج الغرفه . . ودخل حجرة تدريسه . .

كان الطلاب يتململون في أماكنهم . . وضجة خفيفة تخيم فوق رؤوسهم .. وفي زاوية الحجرة قرب النافذة كان ثمة تلميذان يتشاجران كفاعن التناحر عند دخول وليد الذي اتخذ مكانه خلف المنضدة .. ناظراً الى الطلاب .

الصمت المطبق المميت ، التلاميذ المحنطون .. كل شيء يدل ان هنالك جثة وموت .. وكل شيء يشبع رأسه بصوت المؤذن وهو يصرخ امام التابوت « لا اله الا الله »

وأحس بأن كل ما حدث مجرد حلم .. او دعابة ..

واستدعاؤه الى غرفة المدير ، تلقى النبأ ، الوجوه المتجهمة و « الله يرحمه » .. كل ذلك لم يكن إلا حلماً .. ان رأسه سينفجر . . لا .. لا يمكن أن يفكر ان موت فايز حقيقة واقعة ..

— من منكم يدرس على طريق الربوه ???

ابتسم بعض الطلاب .. واستغرب الاخرون ..كانت مجاملة لم يألفوا مثلها .. ورفع أربعة أو خمسة اصابعهم . .

— أتدرس وحدك ??? ..

ووقف الطالب في مكانه .. والتفت الى جاره ..

— أنا .. أدرس مع ممتاز ..

ـ حسناً .. وهل تدرسان حقيقة ..

وتلعثم أحمد .. بدا كمجرم ضبط متلبساً ..

ـ الحقيقة ..

ـ الحقيقة أننا نضيع الكثير من الوقت ..

وضج التلاميذ بالضحك .. وضحك وليد معهم .. ضحك كثيراً .. كثيراً .

ـ اصمتوا واستمعوا الي ..

وشخص الجميع بأبصارهم كأطفال على أهبة الاستماع الى اسطورة بطولية .

ـ عندما كنت في المرحلة الثانوية .. كنت اذهب وصديقي فايز الى طريق الربوة نمسك الكتب في ايدينا .. ونشرع بمراقبة السيارات واكتشاف انواعها .. كنا نقطف اوراقاً خضراء .. ونسمعها احاديثنا عن المستقبل .. والثراء .. احاديث كثيرة .. كثيرة ..

لم يضحك احد .. كانت سحنت وليد قد تغيرت .. نظراته تصلبت فيما وراء الحجرة .. وبدا كوسيط منوم مغناطيسي ..

ـ لقد تحدثنا .. تحدثنا طويلا .. رسمنا مشاريع لامتناهية للحياة .. هل تعلمون ما كنا نود لو غنتم ..

لم يجب احد ..

ـ اردنا ان نصبح مهندسين .. ونفتح شركة كبيرة .. كبيرة جداً .. لكن الايام لم تحقق ما اردناه .. الايام التي تميت فجأة .. أليس هذا مضحكاً .. مضحكاً ..

وضحك كالمجنون .. وراح الطلاب يضحكون ايضاً .. ويجنون ايضاً .

وفجأة تنبه وليد الى نفسه .. كيف تصرف هذا التصرف الاحمق .. واستعاد مظهره الرزين .. وكلف طلابه بكتابة موضوع انشائي .. عن .. عن .. عن موت صديق ..

وارتخت اعصابه المشدودة .. واحس بدوار ينتابه .. شعر بحاجة للبكاء .. تلك الايام .. ايام الدراسة الثانوية .. كانت ممتعة بكل اضطرابها .. بكل احلامها الخيالية .. كانا يجلسان ويثرثران .. ويسيران .. و .. و .. ويقولون الآن انه مات . امن الممكن انه يموت ؟ ؟ ..

ومد يده الى جيبه .. وتناول لفافة وضعها في فمه ..

ـ الاستاذ يدخن في الصف .. انظر ..

كان الصوت خافتاً .. واعاد اللفافة الى جيبه ..

ووقع بصره على ممتاز وربيع .. انهما متجاوران في المقعد .. تماماً كما كان مع فايز .. انهما صديقان .. بكل معنى الكلمة ..

لاحظ هذا خلال تصرفات عديدة .. صديقان تماماً كما كان هو وفايز .

أمن الممكن ان يموت ممتاز .. او ربيع .. ?? ..

أمن الممكن ان ينظر احدهما الى جواره ويرى المكان شاغراً ? ? .. ويسمع الرفاق يقولون « لقد مات »

لقد كان معهم .. يدرس .. يسير .. يتكلم .. ويمزح في بعض الاحيان .. والآن .. ذهب وبقيت المدرسة مفتوحة وظل الزملاء يتكلمون .. يمزحون .. يسيرون .. الاسى الذي ارتسم على وجوههم سيزول بعد أشهر . ـ ولكن فقدان فايز سيبقى الى الابد .

فقدان فايز .. هذه العبارة .. انها كبيرة . ومخيفة .

ودق جرس حاد .. وحمل التلاميذ كتبهم وراحوا يتدافعون نحو الباب .. وظل وليد في مكانه يراقبهم ..

في مثل هذا الوقت من كل يوم .. يقف أمام صفه .. وينتظر فايز ليخرجا معاً . . أما الان فلن يقف امام الباب ولن ينتظره ... لأن الانتظار لن يؤدي الى شيء .. لن يبرز ولن يبتسم .. لن يسير معه تحت شمس الأصيل . . لن يثرثرا .. ولن يفترقا عند البوابة . . قائلا له .. الى اللقاء غدا في المدرسة »

ونهض من مكانه وسار بخطوات بطيئة ، وتوقف امام الباب ونظر الى صف فايز .. كان خاويا .. صامتا .. وأطل برأسه داخل الغرفة . . المقاعد هامدة .. السبورة مليئة بالارقام والحروف والرسوم .. ومنضدة الاستاذ منضدة الاستاذ ومقعده فارغان .. فارغان

— « سيأتون ببديل له خلال ثلاثة أيام »

وأدار وليد رأسه .. يريد سحق هذه الغرفة من خياله .. لقد تلاشى فايز .. فعم يبحث ؟؟ عم ..؟؟ .. واقترب من غرفة الادارة .. أحس بأنه مضطرب ،فوقف قليلا ليسترد هدوءه .. وتخللت اصابعه شعره الغزير .

— ولكن زميلنا مات اليوم !! ..

— وما يهمنا من هذا ..؟؟

— أرى انه من الواجب ألا نفعل !!

ومن الذي سيكون يمثل الواجب معنا .. ياأجدب سنكون وحدنا .. وقد رسمنا خطة هذه الحفلة منذ أربعة ايام .. فلم نؤجلها ؟؟ ..

— أوه .. لست ادري .. على كل .. انا غير مرتاح لهذه الحفلة ..

— سترتاح عندما ترى وتلمس ..

وعلت ضحكة صفراء ..

وبهت وليد .. وانغرس ألف خنجر مسموم في اعصابه .. انهم يتحدثون عن الحفلة .. يريدون احياءها اليوم ، كأن شيئاً لم يحدث قط .. ولم يؤجلونها ..؟؟ لم .. لم ؟؟؟ الاسى الذي ارتسم على وجوههم كان جزءاً من « الواجب »

مات .. فليمت .. أما هم فلن يتأثروا .. لن يتغير أي شيء في حياتهم . سيتابعون مخططهم اليومي .. وسيقرعون الكؤوس في حفلة الليلة .

وذاك المتأثر عمر .. الشخص الوحيد الذي حزن يقول بأنه غير مرتاح ..غير مرتاح فقط . . يا إلهي . .

وتوجه نحو الباب الخارجي دون ان يدخل غرفة الادارة إنه لايريد ان يرى هذه الوجوه المجرمة وقد زال عنها التأثر والحزن المصطنعان ..

وتتابعت المناظر امام عينيه . . الدكاكين . . المنازل .. الدعايات .. خط الترام . المقهى والمارة القلائل كل شيء .. كما هو .. لم يتبدل الا شيء واحد . . عادي يتكرر عشرات المرات في كل يوم..وهز كتفيه باستخفاف بسخرية .. بألم ..

أهي سخرية القدر ان يموت شاب في ربيع العمر..؟؟ أم هي مصادفة لعينة ؟؟؟ أم مجرد نزوة لعزرائيل ؟؟ولماذا نخضع لنزواته ..؟؟ لماذا نحني رؤوسنا امام إرادته الهوجاء الحمقاء .. ؟؟ .. لم لم يتمرد فايز ..؟؟. لم لم يقل « أنا لم أنه دوري في الحياة »

آه.. إنه خضوع أزلي..!! .. ولا فائدة البتة من

المعارضة.. ولكن ثمة شيء يجب ان يفعل .. ثمه عدل يجب أن يأخذ مجراه .. والى من نوجه الطلب .. ?? الى من نشكو الظلم .. ?? .. الى الله ?? نعم .. وهل هنالك غيره .. لم يا الهي أخذته ما الذي أفدته من ذلك ??

- استغفر الله العلي العظيم ..

إنه الان في العالم الاخر .. في الجنة حتما .. فهو لم يرتكب اي اثم .. وليد يعرفه كما يعرف ذاته .. انه في الجنه يتمتع .. ولكن هل دخوله الى الجنة ومرافقته للحوريات العذراوات .. يفقدان الموت معناه الرهيب ..

هل يتبخر في هذا الحلم معنى .. مات .. مات .

هذه هي البوابة .. هنا افترقا أول أمس .. وهنا يفترقان دائماً .. ونظر حوله كأنه يبحث عن فايز ليودعه ليقول له .. « الى اللقاء غداً في المدرسة » .. لكنه لم يجد احداً .. بضعة وجوه جامدة صفراء .. تتسكع لاهية فقط .

وأحس بغصة تتأرجح في حلقة .

بعد قليل سيصل الى البيت .. سيرد تحية زوجته . وسيتناول لقمة خفيفة ثم ينكب على تصحيح دفاتر التلاميذ الى ساعة متأخرة .. وبعدها ينام ..

هل سيستطيع ان يفعل ذلك اليوم حقاً .. ?? .. أيستطيع أن يتابع سير حياته العادي كزملائه كأن شيئاً لم يحدث .. لا .. من أين له ذاك التركيز في الافكار الذي يعينه على متابعة عمله . ?? .. من أين له تلك الاعصاب الهادئة التي تساعده على تقبل الامور العادية ..

-. « هل تعلم .. لقد غرت منك »

- « لماذا »

- « لأنك تزوجت يا اخي .. »

- كم مرة قلت لك تزوج ..

-- سأتزوج ... في الحقيقة .. سأتزوج ..

منذ اسبوع اوعشرة ايام قال فايز هذا .. سيتزوج .. وربما كانت ليلة زفافه بعد اسبوع ، بعد شهر من الآن كان سيتزوج ويمسي رب اسرة ، وصاحب مسؤولية .. وكان مثله راضياً بالواقع العادي ..

الواقع العادي ... ما اكثر ماينتهي الى مأساة .. ودخل بيته .. ووقف امام زوجته ..

- ما بك ..??

- أوه .. لاشيء ..

- يبدو عليك الضيق .. ثم .. لم انت متجهم هكذا ??

- لا شيء ..

وجلس الى المائدة .. اراد ان يأكل لقمة .. لكنه لم يستطع .. أحس بأن اعضاءه قد تباعدت واوصاله قد تشردت .. فلم يستطع ان يمسك بها .. أن يلملمها ليطعمها

- أنت مضطرب جداً

- ابداً .. لكنني لا اشعر برغبة في الطعام .

- حسناً . سنذهب اليوم الى السينما .. أليس كذلك ??

- ليس اليوم

- لماذا ??!

- لدي الكثير من الدفاتر وعلي تصحيحها ..

- تستطيع ان تؤجلها .. فعلت ذلك مرارا من قبل ..

- اني لا أستطيع ..

- أيام شهر العسل انتهت .. فلتنته سعادتنا اذن .. سنبدأ بالمشاحنات ومضايقة بعضنا البعض

- أوه .. كيف تقولين ذلك ?? حسنا . . ! !

سأؤجلها ولكني لن اذهب .

- ولماذا ؟؟

– فايز .. مات ..

قالها بلهجة عميقة مؤثرة .. ونظر اليها .. أراد أن يجد جواباً .. ان يجد كلمة تزيح عنه هذا الثقل الذي يجثم فوق قلبه ..

– ليمت .. هناك آلاف يموتون كل يوم .

– ماذا تقولين !؟ . انه فايز !!

-- أنت تتذرع بهذا .. لا تريد ان تذهب الى السينما

– انه فايز الذي حدثتك عنه طويلا !!!

– ليكن . . ثم . . ما هذا الطابع المأساوي الذي تتخذه ؟؟ اني أعلم أن كل هذا تمثيل .. كفاك . . اننا سنذهب رغم كل شيء

– اخرسي ..

لم يعد يستطيع التحمل . . انهم يحطمون اعصابه يمزقونها .. يا الهي .. وسمع شهقات زوجته وهي تبكي .. مختلطة بعويل يندب حظها العاثر .. وشعر بأنه يتعذب شعر بأنه سجين ينهال عليه الجميع بسياط مسمومة تلدغ جلده .

وهبط الدرج واستقبله الطريق .. كان الطقس خريفيا جميلا .. السماء بيضاء مشوبة بقطع سوداء صغيرة . . الهواء ساكن رطب .. والمارة قلائل .. قلائل جداً .

طالما سارا معاً في مثل هذا الجو . . كانا يذرعان طرقات دمشق كلها ، وهما يستمتعان بكل منظر .. وكل كلمة .. كان كل شيء بينهما مشتركا .. العادات .. الافكار الآمال الآلام .. وحتى الطفولة البعيدة .. ظهرت فيها اشياء كثيرة مشتركة .

كان وليد في كثير من الاحيان يظن بأنهما شخص واحد ، وأنه ظل لهذا الشخص .. او انه الشخص ذاته وفايز ظل له .. وكان سعيداً بهذا .. يتألم .. فيجد صاحبه متألما .. يفرح .. فيجد صاحبه فرحا ..

والان .. ذهب .. بكل بساطة ذهب . . كان يريد ان يتزوج .. كان يريد ان يبني حياة جديدة .. كان .. كان .. ولكن .. كيف يستطيع وليد احتمال ذلك .. كيف يستطيع الظل ان يبقى موجوداً . . ما دام الجسم الحقيقي قد ذهب .. أوه .. ما أكثر ذلك ..

ولكن . . ماذا لو كان كل ذلك مزحة . . مجرد مزحه .. او .. ماذا لو كان حلما .. مجرد حلم لا .. ان كل شيء يبدو حقيقة واقعة .. لقد مات ..

وأمه .. ترى .. ما الذي تفعله .. إنها تبكي الان .. وتبكي .. وبعد ؟؟ . . سيدوم حزنها عدة اشهر .. وستزور قبره كل يوم .. ثم .. كل اسبوع .. ثم كل شهر ثم صباح كل عيد فطر .. ثم . . ثم ستنساه .. بل ان الجميع نسوه منذ الان .. ولم يبق منه الا ذكرى عابرة ذكرى .. فقط .

وشعر بأنه قد استحال الى نقطة هندسية تهوي في فضاء مرعب لانهائي .. لا .. لن يستطيع تحمل الحزن وحده يجب ان يشرك كائنا ما .. معه في مصابه

الزملاء لا يأبهون .. والزوجة تندب حظها .. ولمس كتف شاب في مثل سنه تقريباً ..

– نعم . ؟؟

– في الحقيقة .. في الحقيقة .

ماذا ؟؟

– أريد خدمة صغيرة ..

– ماهي ؟

– فايز .. صديقي ..

ـ ما به ؟

ـ مات ..

ـ مات !!؟ فليمت .. ثم ماذا ؟

ـ ثم .. ثم لا شيء .. مات فقط .

ـ أنت مجنون ..

ـ كان صديقي .. ألا تفهم ؟

ـ أنت مجنون ..

الجميع يتآمرون ضده .. الجميع لا يريدون ان يعترفوا بكلمة الموت .. بمعناها .. بقساوتها ..

كانت اوراق الخريف الميتة تتهاوى على الارض باستسلام .. بلا مقاومة .. والهواء يسحلها على المربعات الخشنة بقوة ..

وتوقفت قدماه .. ونظر امامه .. كان قد وصل الى بيت فايز دون ان يشعر .. وصعد الدرج .. ووقف امام الباب ..

ـ « لم أتيت الى هنا .. ؟ »

وخطر بباله ان يقرع الجرس .. ولكنه لم يفعل .. ستفتح امه .. ما الذي يقوله لها .. سيزداد ألمها .. عندما تراه يا للثكلى المسكينة !!.

وكر راجعاً الى الشارع ..

ـ أوه .. كم كانت جميلة ايام الربوة .. والدراسة

وذكر ليلة قارسة البرد .. كانا قد صمما على زيارة عاهرة .. وكان عمر كل منهما تسعة عشر عاما .. طرقا الباب ودخلا غرفة ذات طلاء وردي متشقق .. شاهدا الثياب الشفافة .. الحريريه .. واللحم المتهدل .. وفجأة قفزا الى الخارج .. لم يستطيعا تحمل واقع الفكرة التي طالما ناقشاها وقد أمست حقيقة تثير الاشمئزاز والغثيان ..

ربما سيمر يومان او ثلاثة .. دون ان تقترب من جثته الديدان .. ولكنها ستقترب في النهاية .. ستتسلق الشعر الخرنوبي .. ستنزلق على الجبين الواسع .. ثم تبدأ بالتهام العينين ، العينان الزرقاوان ستأكلها الديدان الحقيرة .. والاطراف ستتفسخ وتمسي رائحتها عفنه نتنة ..

ـ كلنا لها ..

وشعر برجفة تجتاح اوصاله .. ومسح عن جبهته عرقا بارداً ..

كان قد تجاوز جسر فكتوريا .. ووقف برهة امام باب حانة مسدلة الستائر .. ثم دخل بجرأة .. انها المرة الاولى التي يدخل فيها حانة ما .. المرة الاولى التي سيتذوق فيها خمراً ..

لقد دخل .. دخل دون ان يدري لم يفعل ذلك ربما لينسى نفسه .. لينسى احزانه ان هنالك موت .. وظلم وتمتم ..

ـ هنالك في الخارج اوراق ميتة يسحلها الهواء على الاسفلت الخشن ..

وتهاوى خلف منضدة صغيرة .. ذكرته بتلك التي في حجرة تدريسة .. واقترب النادل منه ..

ـ اعطني اي شيء .. لا .. أعطني عرقاً ..

واشعل لفافة .. ورفع بصره عن كأس العرق المتحاب ونظر الى الزاوية ..

كان هنالك رجل في الاربعين من عمره .. او الخامسة والاربعين ، أشيب الرأس ، كان ينظر اليه بين الفنية

والاخرى نظرات مختلسة كسارق مبتدىء...

- من هذا الرجل ؟؟

- أتقصد ذاك ؟ . . انه سكير قديم . . لايملك ثمن شرابه . . ولا نملك قذفه الى الخارج . .

- أهو ثرثار ؟

- أبدا . . انه لايتكلم الا اذا سؤل . .

- ادعه الى طاولتي . .

كانت الحانة صغيرة . . لكنها اتسمت بالانافة ، وقد لاحظ وليد ان هناك صورة كبيرة لصبية عارية مقابل مقعده .

شكراً يا بيك . .

- تفضل . .

- في صحتك . .

- ...

لم يسكر هذا الرجل طوال هذه المدة . . رغم فقره؟ ربما كانت آلامه كبيرة جداً كآلام وليد . . ولكن لم يحزن . .؟ . . لقد ذهب فايز . . ان هذا شيء طبيعي . ذهب وتابعت الحياة مجراها العادي . . كما كانت منذ الازل وكما ستبقى الى الابد . .

لم يحزن اذن . .؟ هل يريد ان تتوقف الارض عن الدوران . . وتبرد الشمس ان مات صديقه ؟ هل يريد ان يكف البشر عن وظائفهم الحيوية . . ليبكوا ماالذي يريده؟

مات . . كما يموت الالاف كل يوم

وأحس برغبة في الكلام . . انه يريد ان يتحدث الى اي انسان . . ونظر الى الرجل لن يقاطعه ، ولن يدعـه ليذهب الى عمله . . لن يذهب الى السينما . . ولن يتهيـأ للحفلة انه سيستمع الى النهاية . .

- ماذا يبدو علي ؟

- يبدو عليك الحزن

- اي والله يا صاحبي

- أأسأل لماذا ؟

- مات صديقي . .

- ...

- كان أعز من صديق . . . كان أخاً . . كان . . كان توأمي . . ظلي . .

- ...

- مات فجأة في ريعان الشباب . . « جلطة في القلب »

- ...

- تصور . . إن احدا لم يتأثر لموته . .

- وكلنا لها . .

- ولكن . . ولكن . .

وتجرع الكأس . . كان طعم الكأس الاولى لذيـذاً اما هذا فانه مر . . شديد المرارة . .

- كان توأمك . . ظلك ؟؟

- نعم . .

- هل تخاف الموت ؟؟ . .

- ....

- هه . . . اعتقد انني اعرف . . لم انت حزين . .

- لموت صديقي . .

- . .

- إذن . . .

- ستغضب . . واظنك تعرف . .

- أوه . . ربما . .

- وارتطمت حدقتاه بقاع الكأس الفارغة . .

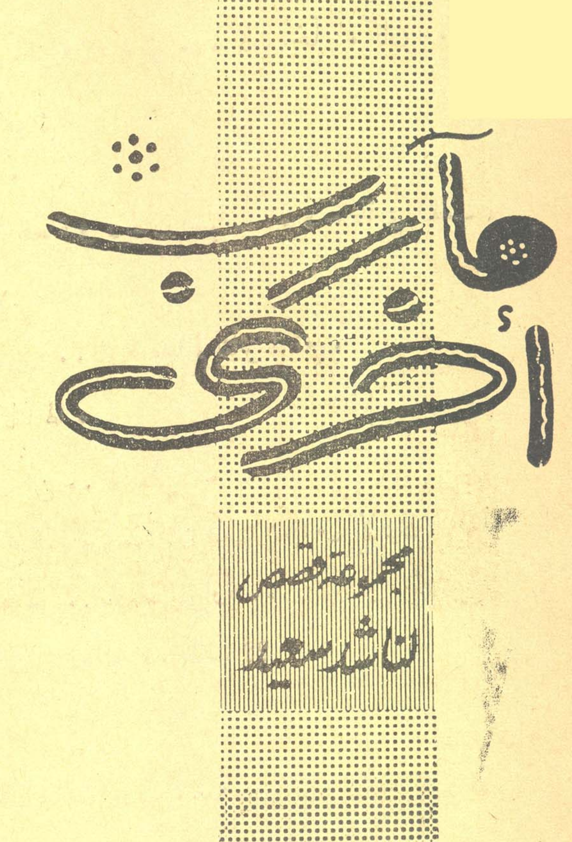
م . هشام التكريتي

بقلم : « عدنان بن ذريل »

قرأت في ليلتين متعاقبتين , هذه المجموعة القيمة ، والطريفة من القصص القصيرة: (مآرب اخرى) ، للاستاذ القاص (ناشد سعيد) ، فوجدتني اثر انتهائي من قراءتها مشدوداً اليها ، بألف سبب ، يشوقني ، لاعادة قراءتها من جديد .. وان استهواء هذه القصص القصيرة ، القارىء ، وفرضها اجواءها الشفافة عليه ، ليدلان على تأصل (الموهبة القصصية) ، عند قاصنا المتفوق ، (ناشد سعيد) ، والذي يشق طريقه ، بثقة ، وتؤدة ، الى صفوف الطليعة من قصاصينا الشباب الموهوبين في سورية العربية ..

ورغم تفاوت هذه القصص القصيرة ، فيما بينها ، من نحو المضمون ، او الاسلوب ، او القوة ، او الجودة ،فان كل شيء في هـذه القصص ينم عن (اصالة) قصصية ، و (شخصية) أدبيـة ، متميزة ، و (أسلوب) ، في السرد ، والتحليل ، تظـل تعطى ، بسخاء ، وبساطة) ولا تضن بسرد ، او تحليل ، او وصف ، او همس ، او اعتراف ، او مكاشفة ، او نكتة ايضاً ، ان الزم ،الامر الذي يكسبها الرونق ، والشفافية ..

وبقدر ما تقترب (موضوعات) هذه القصص من الواقع ، والمجتمع، والحياة ، بقدر ما هي تنم عن شخصية صاحبها ، ونفسيته ، حتى تساءلت اذا لم تكن مستوحاة من ماجريات حياة صاحبها ، وتجربته ، مرئياته ، او مسموعاته على الاقل .. كل شيء في هذه القصص القصيرة ينم عن (شخصية) صاحبها ، وروحه البصيرة ، ولاغرو وهي باكورة انتاجه القصصي ، ان نجده ترك فيها صورا ولوحات من ذكريات الدراسة ، والوظيفة او تجارب الحياة ، والمجتمع حوله ..





« المؤلف »

ويتعاور (السرد) ، و (التحليل) السيطرة على اجواء هذه القصص ، واسلوبها ..

الا ان الغالب حتى الان ، هو (الحس التحليلي) فيها .. ان القصة عند (ناشد سعيد) ، لوحة مواقفية ، وأحيانا ، لوحة نفسية ، يرصد (ناشد سعيد) دقائقها وشياتها ، من تجربته ، وتجربة الناس حوله ، ليسردها ، بأسلوبه الشفاف ، والسلس .. ويبدو ان القاص (ناشد سعيد) يؤمن بالابتكار ، وعمل الاديب في القصه ، وانه يحق للقاص التصرف بمعطيات (الواقع) ، الى ما هو احسن ، او أسوأ ، وهي نظرية ناجحة ، ومفيدة في القصة ، وقد عبر عنها في قصته : - مآسي الحياة - التي استمد منها عنوان مجموعته : مآرب اخرى - اي الواقع ، من خلال تجربة المؤلف ، وفنه .. كما توضح القصة ذلك ..

ولذلك نجد ان القصص المتفوقة في المجموعة ، هي القصص التحليلية ، المواقفية ، والنفسية ، مثل : - القماط والوصية - ، وهي في (الالتزامات) الاجتماعية التي تشدنا الى المجتمع والحياة ، او - الغيوم على الارض - وهي في هموم (عامل) مرفود من العمل ، يجده في جهة اخرى او - مآسي الحياة - ، وهي في (التفاهم الروحي) ، بعد محاولة مكاشفة ، او - كوب شاي - ، وهي في السأم ، و (قتل الفراغ) ، والمشاركة في الحياة ، او سائق الترام - ، وهي في ذكرياته وهمومه ، بعمله وبيته ، وزوجته ، وضعفه ، وغيرها ..

في حين تغلب الناحية السردية وفي تفاوت ، على التحليل ، في قصص اخرى ، تتفاوت ايضا في جودتها ، واسلوبها ، مثل : - الخدعة في سرد دفاع عن (جريمة قتل) ، حصلت عن غضب ونزق ، او - كنت انساناً - وهي ايضاً ، في سرد تبرير جريمة قتل ، حصلت بدافع الغيرة على العرض ، والزرع او - حلاقة بالمجان - ، وهي سرد لذكريات التلميذة ، وعلى الخصوص السجن



بسبب التظاهرات الطلابية ، اي - اللوحة والجرس - وهي في مكاشفة بالحب ، مع التنغيص على المحبين ، او - الفتاة والنافذة - وهي في انتحار فتاة لتلفت اليها نظر من تحب .. وغيرها ..

ولاشك في ان براعة (التحليل) ، تظل وراء الاسر والسحر ، في هذه القصص المختلفة ، في حين بدأ بعض القصص السردية الاخيرة ، غريباً ، او مغالى فيه ، او باهت الاضواء ، وان الحرص على (الموضوع) القوي ، مثل هذه الحالة ، هو السبيل القويم للنجاة في السرد ، والتحليل ، على السواء ، ولنا ثقة ان قاصنا الموهوب (ناشد سعيد) الذي دل على روح بصيرة وشفافة ، سيوليه عنايته ، ويبدع لنا من الجديد ، الجيد ، في القصة ما هو بالفعل ، موضع فخر ، واعتزاز ..

هدنان بن ذريل

ماهو الفن

لشاعر الهند طاغور

تعريب محمد جديد

اننا نقف ازاء هذا العالم وجهاً لوجه على اختلاف شديد في علاقتنا به والأمر كذلك فيما يتصل بالحياة وضروراتها ، فلا بد لنا ان نحرث الارض بحثاً عن الغذاء والكساء ولا بد للطبيعة ان تقدم الرزق الى الناس جميعا ، ولذلك فان علينا ان نجهد انفسنا على نحو لاحد له لاشباع حاجاتنا لأننا في تماس دائم مع الطبيعة، وهكذا يؤكد الجوع والعطش وكل الحاجات الطبيعية الارتباط الابدي بهذا العالم الكبير .

ولكننا كذلك اولو عقل ، وهذا العقل يبحث عن غذائه الخاص ويبحث عن حاجاته ايضاً ، فلا بد له ان يفهم معنى الاشياء ان العقل يواجه تعدد الحقائق وهو يضل حين لايجد مبدأ موحدا يبسط له تنوع الاشياء ، ولقد يبلغ من طموح الانسان انه لا يكتفي بالحقائق ، بل ان عليه أن يجد القوانين الثابتة التي تبسط له العدد المعقد والكم المعقد .

ولا ريب ان هناك ذات ثالثة في الى جانب الذاتين المادية والعقلية وهي الذات الروحية ولهذه الذات ماتميل اليه وما تعرض عنه ، وهي تبحث عما يشبع حاجتها الى الحب ، وهذه الذات الروحية تابعة لذلك الجو الذي نكون فيه متحررين من كل الحاجات ، حيث لايكون لحاجات العقل والجسم تأثير ما وحيث لايسأل المرء عن المنفعة والغرض . هذه الذات الروحية هي اسمى مافي الانسان . ان لها علاقاتها الشخصية الخاصة بالعالم الكبير وهي تبحث عما يشبعها فيه .

ان عالم علم الطبيعة ليس عالم الحقيقة ، بل هو عالم القوى المجردة ، ونحن نستطيع ان نستفيد منه بمعونة عقلنا ولكننا لانستطيع ان ندركه بارواحنا . انه يشبه جماعة من العمال اليدويين الذين يبدو لنا مايقدمونه من الاشياء على انها مخلوقاتهم الخاصة كالاشباح المعقدة .

ولكن هناك عالماً آخر يأتينا بالحقيقة، اننا نراه ونحسه ونساهم به بكل مشاعرنا ، ولا ريب اننا لانستطيع أن نفسره او نقيسه ، وعلى هذا فيبقى خفياً الى الابد غير اننا نستطيع ان نقول بمعرفة ممتعة : هاهنا انت ! .

ذلك هو العالم الذي يتجنبه علماء الطبيعة والذي يأخذ فيه الفن مقعده ، وحين يتاح لنا ان نجيب على سؤال ماهو الفن فسنعلم ايضاً أي نوع من العوالم يمكن أن يكون عالم الفن ، وليس هذا بالسؤال الخطير في حد ذاته لأن الفن ينمو كالحياة نفسها من دافع خاص والانسان يستمتع به دون أن يفسر على نحو دقيق ماعسى ان يكون . ونحن نستطيع أن ندع هذه المسائل تغفو هادئة في قرارة الشعور ، هناك حيث يمكث كل مايتصل بالحياة ويتغذى في الظلام ولكننا نعيش في عصر يدور فيه عالمنا حول نفسه ، وكل ما استكن في الاعماق ينسب الى السطح ونحن نضع احداث الحياة المجهولة

كل الجهل تحت مبضع العلم على حساب الحياة نفسها اذ نحول تلك الحياة ببحوثنا الى أثر فني ميت .

لقد طرح سؤال مـاهو الفن في كثير من الاحيان وأجيب عليه بطرق مختلفة ، ومثل هذه المناقشات تتمسك دائماً بشيء من معني معروف في مجال ما حيث يتميز الخلق والاستمتاع بالتغير والغموض الى حد ما ، وهم يخرجون من ذلك الى تزويد الحكم الفني بالمقاييس المحددة ، وكذلك نسمع اليوم بأن نقاد الفن يصدرون احكامهم الصارمة وفقاً لقواعد ابتـدعوها بانفسهم على ما كان يعتبر منذ قرون عظيماً خالدا .

هذا التشويش العلمي لأجواء نقـد الفن الذي نشأت اصوله في الغرب جاءايضاً الى سواحلنا في البنغال فعكر سماءنا الصافية بالضباب والسحب فقد بدأنا نحن ايضاً نسأل انفسنا عما اذا كان ابداع الفن لاينبغي أن يحكم عليه بناء على هذا ، أي على قابليته لأن يفهمه معظم الناس أو على فلسفة الحياة التي يتضمنها او على مدى تعهده بحل مشاكل العصر الكبيرة او على تعبيره عن شيء خاص بروح الشعب الذي ينتمي اليه الشاعر ،وحـين يهتم الناس جميعاً بأن يضعوا للفن معـايير ومقاييس لاتصدر عن طبيعته ـ وأقصد بهذا حين يحكم الناس على عظمة نهر من ناحية قناة لانستطيع ان ندع هذه المسألة تتضح بل يقضي علينا ان نتورط في الجدل .

هل ينبغي لنا على الأقل ان نحاول تحديد معنى الفن ؟ غير ان الانسان حين يبحث عن تعريف للاشياء الحيوية فان هذا يعني في حقيقة الأمر ان الانسان يحاول ان يضيق مجال بصره ليستطيع ان يرى رؤية اوضح وليس الوضوح من دون سائر الاشياء الاخرى بالشيء الوحيد او الجانب الأهم بالقياس الى الحقيقة ، فالمصابيـح العمي تعطينا صوراً واضحة ولكنها غير مفهومة ، وحين ينبغي لنا ان نعرف عجلة فليس يضيرنا الا نستطيـع ان نعد اعوادها وحين لانتوصل الى دقة شكلها بل الى سرعة حركتها ينبغي لنا أن نكتفي بصورة للعجلة غير واضحة الى حد ما . ان الاشياء الحية ترتبط ارتباطا وثيقاً ببيئتها وجذورها تضرب في الارض الى مدى عميق ، ونحن نستطيع بحماستنا للمعرفة ان نحطم جـذور الشجرة واغصانها ونحولها الى جـذع من الخشب يمكن ان يتدحرج من درجة الى أخرى على نحو اسهل ويمكن ان يصور في كتاب مدرسي غير اننا لانستطيـع ان نقول ان هذا يعطينا صورة صحيحة عن الشجرة باعتبارها كلا لأنه عار واضح .

ولذلك فاني لن احاول ان احـدد معنى الفن ولكني أريد أن اتساءل عن اساس وجوده واحاول ان استنبط من ذلك ما اذا كان يقوم على هدف اجتماعي او انه وجد ليخلق لنا متعة فنية جمالية ، او انه وجد من الحاجـة الى التعبير عن وجودنا .

لقد اختصم الناس زمناً طويلاً حول كلمة (الفن للفن) تلك الكلمة التي لقيت الاهانة من فريق من النقاد الغربيين ، وان هذا لآية على ان المثل الاعلى لكبـح جماح النفس في عصر التطهر والورع يعـود مرة اخرى ، حيث تعتبر المتعة من حيث انها غرض في حد ذاته امراً شائناً ، ولكن كل اتجاه الى التطهر انما هو رد فعل . انه لايستطيـع ان يرى الحقيقة بعين مجردة ، وبالتالي فهو لايراها في شكلها الحقيقي ، وحين تفقد المتعة اتصالها المباشر بالحياة وتغدو اكثر غرابة واحفل

بالخيال تظهر الدعوة الى الزهـــد التي تظهر السعادة على انها احبولة الفساد ، ولست أريـد أن اخوض في تاريخ الفن الحديث ، فانا اشعر اني لست أهلا لهذا الأمر على الاطلاق، ومع ذلك فانا استطيع ان اجزم بهذا على انه حقيقة عامة، عندما يحاول الانسان ان يكبت اندفاعه الى السرور ويحوله الى اندفاع معقد الى المعرفة او الفضيلة فلا بد ان يكون السبب هو ان قدرته على الاستمتاع قـــد فقدت عذوبتها الطبيعية وصحتها .

ان علماء الجمال في الهند القديمة لم يكن يخطر على بالهم ان المتعة ، متعة الايثار، هي روح فن الشعر ولكن ينبغي لنا ان نفهم كلمة المتعة فهماً صحيحا فعندما نحللها يعرض لنا طيفها نسقاً لانهاية له من الخطوط التي يختلف لونهـا وتوترها باختلاف العوالم ، وعوالم الفن تحوي عناصر لاتتعلق الا به، وترسل اشعة لها قوتها الضوئية الخاصة، ومن واجبنا ان نميزها وان نتتبع اصلها ومنشأها .

ان اهم فرق بين الانسان والحيوان هو ان الحيوان مقيد في حدود حاجاته على وجه العموم اذ ان الشطر الاكبر من كفاحه ضروري للحفاظ على النفس وحفظ النوع، فليس له دخل كبير في سوق الحياة - شأن التاجر الصغير - بل ان الكبرى من موارده لابد ان تدفع فوائد المصرف . انـه يحتاج الى القسم الاكبر من وسائله ليحافظ على وجـوده ، ولكن الانسان تاجر كبير في سوق الحياة فهو يكسب اكثر بكثير مما ينبغي له ان ينفق ، ومن هنا كان لحيـــاة الانسان فائض هائل من الثروة يمنحه حرية التحلل من المسؤولية. وفي مجال حياته تتوالى آفاق واسعة تغدو مواضيعها بالقياس اليه غرضا في حد ذاته .

ان الحيوانات تحتاج الى معـــارف معينة تستخدمها لأغراض حياتها ولكنها تكتفي بذلك . ان عليها ان تتعرف على بيئتها لتستطيع ان تجد الغذاء وعليها ان تعرف خصائص أشياء معينة تستطيع ان تبني لنفسها المساكن وان تعرف علامات الفصول لتتلاءم مع التغير، وكذلك يحتاج الانسان الى معلومات معينة ليستطيع ان يعيش ولكن لدى الانسان فائض يستطيع ان يتحدث عنه بفخر وذلك ان المعرفة عنده من اجل المعرفة وهذه المعرفة تمنحه المتعة الخالصة لأنها الحرية وهذا الفائض هو الثروة التي تعيش منها المعرفة والفلسفة .

تعريب محمد جديد



نحن والمسرح

انطون معراوي

قدم طلاب الأدب الافرنسي في كلية الاداب بجامعة دمشق مسرحية الاعترافات الكاذبة لماريفو . ولابد قبل البحث ، والتحليل ،من القاء نظرة موجزة حول حياة هذا الكاتب والعصر الذي عاش فيه . ولد ماريفو في باريس عام ١٨٦٦ وألف اول مسرحية في سن الثامنة عشر . درس الحقوق في باريس ودخل الصالونات الادبية وتميز بطلاوة الحديث ورقته. عمل صحفياً وبرهنت كتاباته الادبية على ذوق رفيع وتحليل جيد . شغف بالمسرح الايطالي وألف له سبعاً وعشرين ملهاة شعرية . وخلال انصرافه الى التأليف المسرحي قدم ماريفو روايات ادبية منها قصة حياة ماريان الفلاح المثري انتخب عضوا في الاكاديمية الافرنسية عام ١٧٤٢ ، وتوفي في شبه عزلة عام ١٧٦٣ .

عاش ماريفو في عصر شغف فيه الناس بالمسرح وكثر فيه الكتاب والممثلون والمخرجون ولكن القرن الثامن عشر لم يعرف سوى عبقريين اثنين ماريفو وبومارشيه ، وقد تفوق الاثنان معاً تفوقاً لا مثيل له في ذلك العصر .

كان ماريفو يفخر بانه لم يقلد انسانا في حياته . ومن اقواله المأثورة (اني احب ان اصنف في المرتبة الاخيرة للمؤلفين الاصيلين ، على ان اقف بكبرياء في الصف الاول ضمن المؤلفين المقلدين) كان ماريفو لايدرس الانسان بل الحب الذي يلعب الدور الرئيسي في كل مسرحياته وكان لا يسلط الاضواء على انسان تملكته الرغبات ، وانما كان يصور المظهر الخارجي للنفس التي تمر في ازمة ، وهو في كل هذا يعرض الحالة كما هي لا كما يجب ان تكون .

وهو يشد المشاهد الى الحوادث بالرغم من ان النتيجة معروفة سلفا في كل مسرحياته فالحب منتصر دائماً رغم كل الصعوبات .

وقد تميز ماريفو بدقة التحليل النفسي وبلغة تتكيف وتتوافق مع العواطف البشرية . ولقد اقترن هذا الطابع الخاص في التحليل والاسلوب باسم ماريفو .

وقد ألف ماريفو عدداً كبيراً من المسرحيات منها لعبة الحب والمصادفة — والبرهان — والاعترافات الكاذبة التي نحن بصدد الحديث عنها .

هذه المسرحية ككل مسرحيات ماريفو تدور حول الحب ، شاب فقير ، أرملة ثرية وجميلة ، خادم مخادع ، وفتاة طيبة حسناء ، وشخصيات اخرى يحركها ماريفو او قل الحب على خشبة المسرح بتوافق وتمازج عجيبين .

ولعل مرد النجاح الذي احرزه طلاب الادب الافرنسي في تقديم المسرحية يعود بالاضافة الى الاعداد المتواصل والجهد المبذول يعود بالدرجة الاولى الى دراسة النص كما

يجب وبلغة النص الاصلية ، واستيعاب للشخصيات كما رسمها الـكاتب . ولقد برهن هؤلاء عن هذا الفهم للنص وللشخصيات فاتت المسرحية بالرغم من بعض الهنات قوية ، واضحـة ، مشوقة وصحيحة فتألق الطلاب في ادوارهم وبزوا المحترفين ، وقدموا برهانا ساطعا على ان في سورية امـكانات حبذا لو تصقل وتولى العناية كما برهنت ان هناك جمهوراً ذواقاً يصفق للعمل الناجح ويدعو له ولابد من القول ان تقديم المسرحية بلغتها الاصلية اضفى عليها طابعاً خاصاً تجلى في الاقبال الزائد على حضور المسرحية وكم كنـا نود لو ان المشرفين مددوا عرض هـــذه المسرحية اذاً لكانوا ادوا للمسرح وللجمهور خدمة لا تقدر . وككل عمل مسرحي لابد من وجود بعض الاخطاء فلقد كان هناك خطأ في توزيـع الادوار فلقد ظهر فارق السن واضحاً رغم المكياج بين السيدة كوليت خوري المفروض انها تمثل دور الابنة والانسة ليليان كحيل التي تمثل دور الوالدة . كما ان السيد هاني اشقر قد طور دور الخادم وتلاعب به حسب مايريد أما السيد لويس فارس الذي يقوم بدور الكونت فقد كانت تنقصه الحيوية بالرغم من مظاهر النبل والعظمة التي ظهر بهـا . اما الديكور التجريدي فلم يكن يتناسب مطلقا مع جو المسرحية ومعطياتها واظن ان هذا الديكور يعود الى يوم قدمت هذه المسرحية باللغـــة العربية على نفس المسرح . وقـد وفق كعادته الدكتور رفيق الصبان في اخراج المسرحية وكان عاملا مهما من عوامل نجاحها . ان الاخطاء الطفيفة لن تمنعنا من القول ان الممثلين ادوا واجبهم على الوجه الأكمل وخاصة الانسة ناديا بنا التى كانت فعـلا الروح الطيبة في هذه المسرحية والسيد رولان توما والسيد ماجد الفصيح فقـد تفوق هؤلاء على انفسهم واعطانا الجميع فناً صحيحاً واملا حيا واظن وعدا ملزمـاً بتقديم المزيد من هذه المسرحيات واغناء مسرحنا بها .

وبـكلمة اخرى فقد شهدت دمشق مسرحية جيـدة من كل الوجوه واثبتت ان هناك جمهوراً يقدر العمل المسرحي الجيد وامنيتنا ان تكثر جامعة دمشق وبخاصة كليات الاداب فيها من تقديم امثال هذا العمل الجيد كي لا نقول ان هذه الجامعة تشبه الديك من بعض النواحي فتعطي بيضـــة واحدة كل عام .

انطون معراوي



ثائرات

تمثيلية : اعدها عامر الخطيب
القصة لخائيل نعيمة

ثريا : وأخيراً ؟ أما آن أن تنطق يا فؤاد ؟

فؤاد : بلى . بلى . عذرك يا ثريا . لكأن لساني قطعة من الحديد في فمي .

ثريا: ولماذا؟ أما جئت بي الى هنا لتفضي الي بأمر جلل؟ فما هو ذلك الأمر ؟ أم لعله من الهول بحيث لا تستطيع أن تتحدث عنه ؟

فؤاد : إنه لكذلك يا ثريا . ومن ثم فالخجل يعقل لساني .

ثريا: الخجل ؟ وممن ؟

فؤاد: منك يا ثريا ومن نفسي .

ثريا: مني ! لكأنك ما عرفتني قبل اليوم ، وكأننا ما لعبنا معاً صغيرين في ساحات القرية ، ولا نحن ندرس اليوم دروساً واحدة في جامعة واحدة .

ثريا: فؤاد ! ما هذا الذي تكلمني به ؟ وأمس كنت تبني القصور وتفرش الدنيا رياحين . ماذا حل بك ما بين أمس واليوم ؟

فؤاد : أمس كنت انساناً.

ثريا: واليوم ؟

فؤاد: واليوم ... واليوم أنا ... (فؤاد يبكي)

ثريا : أتبكي يا فؤاد ؟

فؤاد : لا . وحري بي أن أبكي .

ثريا : ما عهدتك مانع العينين والقلب .

فؤاد: ولا عهدتني .. لصاً .

ثريا: لصاً .. غريب ... ان هذا لا يصدق . فأنا أعرفك منذ الصغر وأذكرك . أذكرك جيداً .. صحيح أنك يا فؤاد غالبت اليتم والفقر منذ الصغر ، شققت طريقك من من الدراسة الابتدائية الى الثانوية الى الجامعية بالصبر والحرمان والجهد المضنك وبارادة من فولاذ ...

فؤاد (مقاطعاً) :وكانت أمي تساعدني بما تنتجه من تعب يديها . كانت تغسل وتخبز بالاجرة للأغنياء . من أجل تعليم وحيدها . نعم . نعم . أعرف هذا . ولكنها أصبحت طريحة الفراش منذ عامين . وأنا مضطر أن أعولها وأعول نفسي وأقوم بنفقات دراستي .

ثريا : وها أنت قد بلغت سنتك الأخيرة ، وبينك وبين الشهادة الجامعية شهر وبعض الشهر .
ومتفوق في جميع دروسك . والكل يتنبأ لك بمستقبل باهر أتذكر أنك قلت لي مرة : انك تشكر الله لأنك ولدت

فقيراً . فالفقر ليس عاراً بل العار . .

فؤاد (مقاطعاً) : أجل ... الفقر ليس عاراً بل العار في الذل والاستكانة للفقر .

«صوت قهقهه .. وضربه خفيفه من ثريا على فخذ فؤاد»

ثريا : والان ياسيد اللصوص . بقي أن نعرف إذا كان ما اصطدته اليوم يؤهلك لهذا اللقب الرفيع هات برهانك؟

« موسيقى حزينة »

فؤاد : اليك البرهان ... « لحظة صمت »

ثريا : شيء بديع ، وبديع حقاً . إن يكن هذا صيدك يا فؤاد وأنت ما تزال في أسفل سلم اللصوصية فكيف بك اذا بلغت أعلاه ؟ هات أخبرنا من أين و كيف ؟

فؤاد: ولمن عساي اعترف ان لم يكن لك ؟ أ ذلني الفقر ساعة ظننتني أذللته . علي للجامعة رواتب استحق دفعها . وأمي ، كما تعلمين طريحة الفراش منذ عامين . وأنا لست أملك ثمن الدواء لها ، ولا اجرة الطبيب . لقد تقرحت المسكينة وراح الدواء يأ كلها وهي حية . طار عقلي . أظلمت الدنيا في عيني . فضلت أن أدوس كبريائي وعزة نفسي في سبيل أمي التي ما ضنت بحياتها علي . فأقترض بعض المال طالما انني سأحصل على شهادتي قريباً ، وعلى عمل يساعدني على وفاء الدين . وقلت أذهب الى فريد صرصور . انه شاب طائش مبذر ورث عن أبيه ثروة طائلة . ولي عليه بعض الفضل ، اذ كنت ألقنه دروساً خاصة . ولولاي لما نال شهادته . فريد صرصور ألا تعرفينه يا ثريا ؟

ثريا : (برجفه) أعرفه .. و كيف كان استقباله لك ؟

فؤاد: وجدته يلعب « البو كر » مع زمرة من رفاقه. فما ترك اللعب ليقابلني . بل أمرني بالانتظار – فرحت أنتظر – وعندما توقفوا قليلا عن اللعب ليشربوا الوسكي رأيته يخرج هذا السوار من جيبه ، ويديره على الحضور ليتأملوا جماله . وسمعته يتبجح بذوقه في انتقاء الجوهرات ويقول ان السوار هدية لخطيبته ، وقد دفع ثمنه خمساً وعشرون ليرة ذهبية .

ثريا : وماذا كان نصيبك منه في النهاية ؟ بماذا أجابك عندما طلبت منه المال ؟

فؤاد : أجابني بعد أن تنازل وسألني عن حاجتي .. أجابني بكل صفاته بعد أن عرف حالتي :

« وأي بأس لو أكل الدود لحم امك وهي حية ؟ أهي أ كثر من غسالة ؟ وأي حاجة بابن غسالة الى شهادة جامعية ؟ اذهب واعمل عملًا تعيش منه . ولا تطمح الى العلو فوق أصلك . ذلك خير لك من الاستعطاء » .

ثريا: « بانفعال » هكذا أجابك ! يا للوقاحة !

فؤاد « باستطراد وشرود » : خرجت من عنده وفي داخلي زلازل وبراكين . ولو كان في استطاعتي أن أنسف الارض ومن عليها بكلمة أو بنفخة لفعلت . وأي خير لي فيها وقد حبستا عني كل خير ؟ أي خير في حياة صراصيرها نسور ، ونسورها صراصير ؟ ولكن أتموت أمي وفي عروقي دم ؟؟ لا . لن تموت . سآتيها بالطبيب ، وآتيها بالدواء ، وآتيها بالمال . لقد جازفت بعزة نفسي فخسرتها . وهكذا صار فؤاد يا ثريا . وهذا السوار باكورة لصوصية . لقد تلثمت وأخذت مسدساً كالذي يلعب به الاولاد ، وترصدت له حيث سيذهب للنادي . . فأوقفته وأخذته منه . . ووليت هارباً ..

ثريا « برقة » : يكفي يا فؤاد . لقد فهمت كل شيء. والان ما أنت فاعل بهذا السوار ! أتريدني أن اشتريه منك؟

فؤاد « بسرعه » : لا . لا . لا . أما كفى أن تلوثت أنا حتى ألوثك أنت كذلك ؟ لا . لا . وألف لا . إني أقشعر من منظره، وأقشعر من لمسه ، وأقشعر من ذكر كل حركة أتيتها في سبيل الحصول عليه . وكل ما أرجوه منك ياثريا — إذا كان ذلك لا يزعجك — أن تردي السوار لصاحبه مادمت تعرفينه . ولك أن تخبريه بكل ماسمعته مني . لقد انزلق فؤاد من القمة الى الهاوية . ولكنه لن يبقى في الهاوية . لتمت أم فؤاد . ولكن ليموتا شريفين . لا . لن يموت فؤاد لصاً . لن يموت إلا ثائراً على كل ما في الأرض من دنس وظـلم وفساد . لقد عاهدت نفسي على ذلك . والصراصير لن تملك الارض الى الأبد . ان لي ولأمثالي نصيباً في سمنها وشهدها ولن نتخلى عنه للجشعين والمتخمين .

ثريا : هون عليك يا فؤاد . ودعني أبوح لك بسر قد تتزهل له .

فؤاد : هاتي يا ثريا . سرك عندي سر .

ثريا : أتعرف لمن هذا السوار ؟

فؤاد : لمن؟

ثريا : لي . ولكنني سأعيده الليلة الى فؤاد صرصور .

فؤاد (بدهشة) : لك ؟ (بتأكيد) لك أنت يا ثريا؟ وكيف ذلك ؟

ثريا (بهدوء) : أنا خطيبة فؤاد صرصور .

فؤاد : أنت خطيبته ؟ واخجلي منك !

ثريا : الأصح أنني كنت خطيبته الى أن سمعت منك ماسمعت .

فؤاد : ثريا ، ليت الارض تنشق وتبتلعني .

ثريا : (بقوة) بل ستبتلع الارض الصراصير .

« موسيقا هادره تتناهى للهدوء »

— انتهت —

◆◆◆